■ رئيس التحرير في زيارة لتركيا

التوحيد

أنصار السنة المحمدية على شبكة الإنترنت

الأسرة المسلمة واتباع الشرع

تقي الدين الهلالي يرد على القبوريين

أهل السنة.. وموقفهم من أخطاء العلماء

مسابقة

فضيلة الشيخ

محمد صفوت نور الدين

إسلامية - ثقافية - شهرية ■ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ■ العدد ٤٧٦ - السنة الأربعون - شعبان ١٤٣٢هـ

الثمن جنيهان

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر الجنيدي

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الأربعون

العدد ٤٧٦ شعبان ١٤٣٢ هـ

المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

"السلام عليكم"

الجزاء من جنس العمل

خلق الله تعالى الإنس والجن لعبادته وحده لا شريك له، وتكفل برزقهم ورزق كل دابة في الأرض، وجعل حِفظه ورعايته لكل من حفظ حدوده، وأقام العدل والقسط في الأرض، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن امتثل هذا فقال: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ» (مسلم ١٨٢٨).

وفي المقابل جعل الهلاك والويل لكل من ضيَّع حدوده وحقوقه، واستكبر في الأرض ظلمًا وعلوًا، قال جل جلاله: « فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » (فصلت: ١٥)، فعاقبهم على طغيانهم فقال: « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ » (فصلت: ١٦).

وقد سألت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثُر الخبثُ» (متفق عليه).

فاللهم ولِّ أمورنا خيارنا، ولا تسلط علينا شرارنا.

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



المركز العام: هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

التحرير: ٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط



في هذا العدد

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني
أحمد إبراهيم صوابي

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

أهل السنة وموقفهم من أخطاء العلماء

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا»

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإن من أعظم أسباب التنازع والشقاق: بغي الناس بعضهم على بعض، والتراشق بالعبارات والكلمات، والرمي بالبدعة بمجرد المخالفة في الرأي، ويعظم الخطب عند رمي أحد من أهل السنة بشيء من ذلك، حتى ولو كان مخطئًا؛ لأن العصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وغير الرسل لا يسلم من خطأ، فإذا أخطأ العالِمُ من أهل السنة بُيِّن له خطؤه، ولا يُتابع عليه، ووجب على أهل العلم والفضل أن يردّوه إلى صوابه ورشده، لا أن يُعيَّر بخطئه، أو يُطعن عليه بسببه، وعليه فلا يجوز لأحد أن يحكم على أحد من أهل السنة أو أئمتهم بأنه مبتدع، أو خارج عن الطاعة مفارق للجماعة، بسبب خطأ وقع فيه بعد استفراغ الجهد وبذل الطاقة في الوصول إلى الحق، وقد دلت النصوص على ذلك، قال الله تعالى: « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا» (البقرة:٢٨٦).

وقد ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تبارك وتعالى قال: «قد فعلت». (مسلم: كتاب الإيمان (١٢٦)).

وقال تعالى: «وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ » (الأعراف:٤٢).

وقد عقَّب ابن تيمية على هذه النصوص بقوله: «فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسًا ما تعجز عنه، خلافًا للجهمية المجبرة، ودلت على أنه لا يؤاخذ المخطئ والناسي خلافًا للقدرية والمعتزلة، وهذا فصل الخطاب في هذا الباب، فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعالم وناظر ومفت وغير ذلك إذا اجتهد واستدل واتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلفه الله إياه». (مجموع الفتاوى: ٢١٦/١٩).

ومما يدل على العذر بالجهل والخطأ من السنة حديث الرُّبيِّع بنت معوذ رضي الله عنها، وفيه أن جويريات كن يضربن بالدُّف ويندبن من قتل يوم بدر، فقالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين». (البخاري: ٥١٤٧).

ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر عليها نسبة علم الغيب له؛ لأنها صفة تختص بالله وحده، ولم يَزِدْ على ذلك، والناظر في أقوال السلف يعلم أنهم كانوا يعذرون بعضهم في المسائل الاجتهادية، ولم يبدع أو يفسق بعضهم بعضًا مع اختلافهم في بعض المسائل، وكان الواحد منهم يستغفر لأخيه ويدعو له ويذكره بجميل الذكر، وقد روى الخلال أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سُئل: «ما تقول فيما كان من علي ومعاوية - رحمهما الله؟ فقال: ما أقول فيهما إلا الحسنى

- رحمهم الله أجمعين -». (السنة لأبي بكر الخلال رقم ٧١٣).

وهكذا توالت كلمات أهل العلم من العلماء المحققين المدققين السالكين سبيل المؤمنين المتبعين لمنهج النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، فلم يقع واحد منهم في الآخر، ولابن تيمية، رحمه الله، كلام نفيس رائق في مواجهة خطأ الأئمة المقبولين في الأمة، قال فيه: «وليُعلم أن ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عامًّا يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سُنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقًا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا وُجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف: أحدها: عدم اعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، والثاني: عدم اعتقاد إرادة تلك المسألة بذلك القول، والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ». (مجموع الفتاوى: ٢٠/٢٣٢).

ثم بيّن رحمه الله أن هذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة، ذكرها مع التمثيل، وفي ذكره - رحمه الله - توجيه لطيف في مواجهة أخطاء العلماء في اجتهاداتهم، والتماس الأعذار لهم فيما أخطأوا فيه مواضع الاجتهاد، وعليه فالتعرض لأحد من العلماء المعروفين بسلامة المنهج والعقيدة والاتباع بشيء من التبديع أو التكفير بمجرد قول أدّاه اجتهاده إليه: قول باطل ولا يجوز، ولا يقع هذا إلا من المبتدعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلمية، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة، وإذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر؛ لكونه نشأ بأرض جهل، مع كونه لم يطلب العلم، فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعةَ الرسول صلى الله عليه وسلم بحسب إمكانه، فهو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذ بما أخطأ؛ تحقيقًا لقوله: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا» (البقرة:٢٨٦). (مجموع الفتاوى: ٢٠/١٦٥).

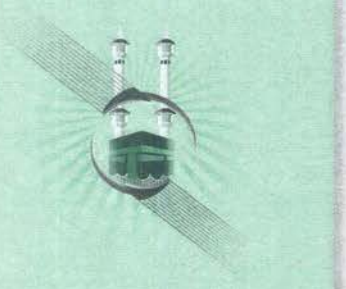
وهذا بالضرورة لا يعني السكوت عن الحق أو عدم بيانه والدعوة إليه أو مجاملة المخطئ من العلماء بعدم مناصحته والتنبيه على ما وقع فيه من خطأ، فهذا حق واجب، بل هو من أعظم الواجبات التي أخذها الله على أهل العلم، قال الله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ» (آل عمران:١٨٧)، وقد يضل بعض الناس بسبب زلة العالم، ولهذا وجب التنبيه.

يقول الشاطبي - رحمه الله -: «إن زلة العالم لا يجوز اعتمادها من جهة ولا الأخذ بها تقليدًا له؛ وذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشرع، ولذلك غدت زلة، وإلا فلو كانت معتدًا بها لم يجعل لها هذه الرتبة، ولا نسب إلى صاحبها الزلل فيها، كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلى التقصير، ولا أن يشنّع عليه بها، ولا يُنتقص من أجلها، أو يُعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحتًا، فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين». (الموافقات ٤/ ١٧٠، ١٧١).

وهذا كلام نفيس من الإمام الشاطبي رحمه الله، وهو واضح الدلالة في أن العالم من أهل السنة قد يزلّ ويسقط، فلا يُتابع لمخالفته للشرع، ولا يُنال منه بسبب المخالفة، وهذا إذا عُرف بالعلم وسلامة المعتقد، ولم ينتسب لفرقة أو بدعة.

وقد وقع بعض أئمتنا الأعلام في بعض الأخطاء فنبّه العلماء عليها وعذروهم فيها، بل ترحموا عليهم، وهذه بعض أقوالهم: ذكر الذهبي - رحمه الله - أن أبا حاتم بن حبان قال: «النبوة: العلم والعمل»، ثم ذكر أنه حُكم عليه بالزندقة لهذا القول، وكتب فيه إلى الخليفة فكتب بقتله، ثم عقب الذهبي على هذا فقال: «قلت - أي الذهبي - هذه حكاية غريبة، وابن حبان من كبار الأئمة، ولسنا ندّعي فيه العصمة من الخطأ، لكن هذه الكلمة التي أطلقها قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق الفيلسوف، فإطلاق المسلم لها لا ينبغي، لكن يُعتذر عنه، فنقول: لم يرد

العالم من أهل السنة قد يزلّ ويسقط، فلا يُتابع لمخالفته للشرع، ولا يُنال منه بسبب المخالفة، وهذا إذا عُرف بالعلم وسلامة المعتقد، ولم ينتسب لفرقة أو بدعة



حصر المبتدأ في الخبر، ونظير ذلك قوله - عليه الصلاة والسلام: «الحج عرفة»، ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجًا، بل بقي عليه فروض وواجبات، وإنما ذكر مهم الحج، وكذا هذا ذكر مهم النبوة؛ إذ من أكمل صفات النبي كمال العلم والعمل، فلا يكون أحد نبيًا إلا بوجودهما، وليس كل من برَّز فيهما نبيًا؛ لأن النبوة موهبة من الحق تعالى، لا حيلة للعبد في اكتسابها، وأما الفيلسوف فيقول: النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل، فهذا كفر، ولا يريده أبو حاتم أصلاً، وحاشاه». (سير أعلام النبلاء: ١٦/٩٦، ٩٧).

وقال في ترجمة الإمام ابن خزيمة: «ولابن خزيمة عظمة في النفوس وجلالة في القلوب؛ لعلمه ودينه، واتباعه السنة، وكتابه التوحيد مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة، فلْيُعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوَّضوا علم ذلك إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق - أهدرناه وبدَّعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، ورحم الله الجميع بمنه وكرمه». (المرجع السابق: ١٤/٣٧٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: «من قواعد الشرع والحكمة أيضًا أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر؛ فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره، ويُعفى عنه ما لا يُعفى عن غيره». (مفتاح دار السعادة ص١٦٨).

ومن الكلمات المباركات لشيخي العلامة عبد المحسن بن حمد العباد قوله: «ومن العلماء الذين مضوا وعندهم خلل في مسائل من العقيدة، ولا يستغني العلماء وطلبة العلم عن علمهم، بل إن مؤلفاتهم من المراجع المهمة للمشتغلين في العلم: الأئمة البيهقي والنووي وابن حجر العسقلاني».

ثم ذكر شيئًا من تراجمهم وثناء أهل العلم عليهم، ثم قال: «ومن المعاصرين الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، لا أعلم له نظيرًا في هذا العصر في العناية بالحديث وسعة الاطلاع فيه، لم يسلم من الوقوع في أمور يعتبرها الكثيرون أخطاء منه، مثل قوله في كتاب صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم: «إن وضع اليدين على الصدر بعد الركوع بدعة ضلالة»، وهي مسألة خلافية، وكذا ما ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٢٣٥٥) من أن عدم أخذ ما زاد على القبضة من اللحية من البدع الإضافية، وكذا تحريمه الذهب المحلق على النساء، ومع إنكاري عليه قوله في المسائل فأنا لا أستغني وأرى أنه لا يستغني غيري عن كتبه والإفادة منها، وما أحسن قول الإمام مالك: «كل يُؤخذ من قوله ويُردّ إلا صاحب هذا القبر، ويشير إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم». (رفقًا أهل السنة بأهل السنة ص٤١، ٤٢).

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: «ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيبٌ، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله، كما أنه من غلب عليه نقصانه ذهب فضله». (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/٤٨).

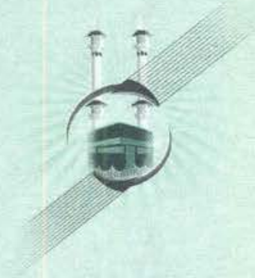
وأختم هذا المقال بهذا القول للإمام الذهبي رحمه الله: «ثم وإن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعُلم تحرِّيه للحق، واتسع علمه وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه؛ يُغفر له زَلَلُه، ولا نُضلّله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك». (سير أعلام النبلاء ٥/٢٧١).

وقال أيضًا: «ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورًا له قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة». (السير: ١٤/٣٩، ٤٠).

وختامًا أسأل الله - تبارك وتعالى - أن يفتح علينا بالحق، وأن يهدينا إليه، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعُلم تحرِّيه للحق، واتسع علمه وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه؛ يُغفر له زَلَلُه، ولا نُضلّله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك



زيارة الدكتور عبد الله شاكر

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية لدولة الكويت

أعده للنشر/ عبد العزيز مصطفى الشامي

إيمانًا بأهمية التواصل بين الأشقاء، ورغبة في مزيد من التعاون البنّاء، وشد أواصر التعاون بين المسلمين في شتى بقاع الأرض، وتعميقًا للعلاقات بين قادة العمل الإسلامي، قام فضيلة الدكتور عبد الله شاكر الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بزيارة لدولة الكويت الشقيقة، وقد لقي الرئيس العام ترحيبًا كبيرًا فور وصوله إلى مطار الكويت، وكان في استقبال فضيلته لفيف من أهل العلم في الكويت وعدد من المسئولين الرسميين، وكان على رأس مستقبليه الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف بالكويت، والدكتور وليد شعيب الأمين المساعد لوزارة الأوقاف الكويتية.

وقد التقى فضيلته أثناء الزيارة مع الدكتور أحمد باقر وزير العدل والأوقاف في لقاء ناقش فيه أواصر العلاقات العميقة التي تربط جماعة أنصار السنة بدولة الكويت، كما التقى مع النائب في مجلس الأمة الكويتي الأستاذ خالد السلطان.

وقام الدكتور عبد الله شاكر الرئيس العام بزيارة فضيلة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق الذي رحب بالرئيس العام وتجاذبا أطراف الحديث حول قضايا الساعة الدعوية والأحداث الأخيرة في مصر وغيرها من البلاد العربية، كما شارك فضيلته في عدد من اللقاءات العلمية وعدد من الجلسات التي عقدت للترحيب به في دولة الكويت الشقيقة.

وقد شارك الرئيس العام في حوار مع الشيخ خالد الشطي، مناقشًا بعض القضايا المعاصرة على الساحة العربية والإسلامية، كما استضاف مجلس حوار الدكتور عادل الدمخي رئيس جمعية مقومات حقوق الإنسان فضيلة الدكتور الرئيس العام، في حديث عن أبرز القضايا المعاصرة وخاصة قضايا حقوق الإنسان.

وقد أقام ديوان الحسينان وليمة كبيرة على شرف استقبال الرئيس العام الدكتور عبد الله شاكر ترحيبًا به في الكويت.

كما التقى الدكتور عبد الله شاكر أيضًا بقيادات الدعوة والعمل السلفي بدولة الكويت مناقشًا بعض القضايا التي تشغل المسلمين داخل الكويت وخارجها، واستضافت قناة المعالي الرئيس العام الدكتور عبد الله شاكر في محاضرة قيمة، ختمها بالإجابة عن بعض الأسئلة.

كما ألقى الرئيس العام عدة محاضرات في مساجد الكويت العامرة، منها محاضرة في جامع الكليب بضاحية قرطبة، وأخرى في مسجد الدعيج، وثالثة في مسجد الفارس بالفيحاء.

وقد شارك فضيلته في ندوة بعنوان (سلفيو مصر)، أشار فيها إلى ضرورة اتحاد سلفيي مصر تحت راية العلماء الراسخين، وأهمية الاتحاد حول مرشحين أكفاء في انتخابات مجلسي الشعب والشورى القادمة لاختيار عناصر تجمع ولا تفرق توجّه للخير وتعمل للصالح العام وتحرص على شريعة الإسلام، ثم تأتي مرحلة الالتفاف حول مرشح إسلامي في انتخابات الرئاسة، توحيدًا لأصوات السلفيين وغيرهم من المنتمين للصف الإسلامي، ووقوفًا حول أفضلهم حتى لا تشتت الأصوات وتضيع الجهود.

وقد استضافت قناة الوطن الكويتية الدكتور عبد الله شاكر الرئيس العام في مناقشة حول موقف جماعة أنصار السنة المحمدية من الأحداث الأخيرة، وقد شكك فيها الدكتور في قبول الفكر الشيعي الرافضي في مصر، مشيرًا إلى أن القباب والأضرحة في مصر فيها غلو في حب آل البيت وبعض مظاهر الشرك التي تواجهها الجماعة وتقوم بدورها في النصح والتبيين، وأن المنشورات الإيرانية وترهات الروافض لا قبول لها في مصر.

وأشار الرئيس العام إلى تعرض الجماعة لضغوط عدة في المرحلة السابقة وأن الجماعة كانت تقوم بدورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لله، وأن الجماعة قد خالفت التوجه العام للدولة في الأمور المخالفة للشرع؛ لأن الحق لا يُسكت عنه، وأن الجماعة كانت تختلف مع القيادة والحكم في الأمور المخالفة للشرع بصبر وحكمة وتؤدة.

ونوّه الرئيس العام إلى أن أنصار السنة لم تكن أبدًا في نزاع مع الأزهر الشريف وكافة الجماعات الدعوية، بل نتعاون مع الجميع ما دام الأمر منضبطًا على منهج أهل السنة والجماعة معتقدًا وتعبدًا.

وأشار الرئيس العام إلى رفض جماعة أنصار السنة للعنف أيًا كان مصدره، داعيا المسلمين إلى العودة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهج السلف الصالح في العقائد والعبادات والابتعاد عن البدع والشركيات، لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها.

وقد عاد فضيلة الرئيس العام إلى أرض الوطن بحمد الله تعالى، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

منبر الحرمين

سبيل النجاة وطريق السعادة

فضيلة الشيخ
أسامة بن عبد الله خياط

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينُه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

فاتقوا الله عباد الله؛ فإنَّ المرءَ لا يزالُ بخيرٍ ما اتقى الله، وخالفَ نفسَه وهواه، ولم تُشغِله دنياه عن أخراه.

حياة القلوب وطمأنينة النفس

أيها المسلمون، حياةُ القلبِ وطُمأنينةُ النفس وسُمُوُّ الروحِ مطمَحُ كلِّ عاقلٍ، ومقصدُ كل لبيبٍ، ومُبتغَى كلِّ أوَّابٍ، ومُنتهى أمل كل راغبٍ في حيازةِ الخيرِ لنفسه، ساعٍ إلى خَلاصها مِن أغلال الشقاء، واستنقاذها من ظُلماتِ الحَيرة ومسالِكِ الخيبَة وأسبابِ الهلاك.

وإذا كان لكلِّ امرئٍ في بلوغِ ذلك وِجهةٌ هو مُولِّيها وجادَّةٌ يسلُكها فإنَّ المُوفَّقين من أُولي الألباب الذين يسيرون في حياتهم على هُدًى من ربهم واقتفاءٍ لأثر نبيِّهم لا يملِكون إلا أن يذكُروا - وهم يلعَقون الجراح، ويتجرَّعون مرارةَ الفُرقةِ وغُصَص التباغُض والتقاتُل- لا يملِكون إلا أن يذكُروا آياتِ الكتابِ الحكيم وهي تدلُّهم على الطريق وتقودُهم إلى النجاة حين تُذكِّرُهم بتاريخ هذه الأمة المُشرقِ الوضِيء، وتُبيِّنُ لهم كيفَ سمَت وعلَت وتألَّق نجمُها وأضاءَ منارُها، وكيف كان الرَّعيلُ الأوّل منها مُستضعَفًا مهيضَ الجناح، تعصِفُ به أعاصيرُ الباطل، وترميه الناسُ عن قوسٍ واحدة، فآواه الله ونصرَه نصرًا عزيزًا مُؤزَّرًا، وأسبغَ عليه

نعمَه، وأفاض عليه البركات، ورزقه من الطيِّبات، «وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [الأنفال: ٢٦].

إنه إيواءٌ إلهيّ، وتأييدٌ ربَّانيّ منَ الله القويِّ القادر القاهر الغالب على أمره، تأييدٌ مُحقِّقٌ وعدَه الذي لا يتخلَّفُ لهذه الأمة بالاستخلاف في الأرض والتمكين، وتبديل خوفِها أمنًا إن هي آمنَت بالله وعمِلت الصالحات، «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ» [النور: ٥٥].

كيف بلغ الرعيل الأول من التقدم والرقي مبلغًا لم يسبقه إليه أحد

ولا غَروَ أن يبلُغَ ذلك الرعيلُ الأوّل من التقدُّم والرُّقيِّ مَبلغًا لم يسبِقه إليه ولم يلحَق به أحدٌ عاش على هذه الأرض؛ لأنَّ الإيمانَ دليلُه، ولأنَّ الإسلامَ قائدُه، ولأنَّ الشريعةَ المُباركة منهجُه ونظامُ حياته، فاستحقَّ الخيرية التي كتبَها الله لمن آمنَ به واتَّبع هُداه، وتبوَّأ مقامَ الشهادةِ على الناسِ يومَ القيامة، «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ» [آل عمران: ١١٠]، «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة: ١٤٣].

وإنَّ آياتِ الكتابِ الحكيم لتُذكِّرهم أيضًا أنَّ الاستقامةَ على منهجِ الله واتباعَ رضوانه وتحكيمَ شرعِه لا يكون أثرُه مُقتصِرًا على الحظوةِ بالسعادةِ في الآخرة ونزول جنات النعيم فيها فحسب؛ بل يضمنُ كذلك التمتُّع بالحياة الطيبة في الدنيا، وتلك سنةٌ من سُنن الله في عباده لا تتخلَّفُ ولا تتبدَّل، «مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» [النحل: ٩٧]، وقال سبحانه: «الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» [هود: ١-٣].



فحين تكون حَيدةُ الخلق عن دينِ الله، والجَفوةُ بينهم وبينَ ربِّهم بالإعراض عن منهَجِه؛ هنالك يقَع الخلَلُ، ويثور الاضطرابُ المُفضي إلى فَسادٍ وشرٍّ عظيم، عانَت من ويلاته الأمم من قبلنا، فحَلَّ الخِصامُ بينهم، واضطرَمت نارُ العداوةِ والبغضاءِ بعدما كانت المحبةُ والأُلفةُ تُظلُّهم بظِلالها، فنَسُوا حَظًّا ممَّا ذُكِّرُوا به «فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ» [المائدة: ١٤].

وهو خللٌ يتجاوز فسادُه وتتَّسعُ دائرتُه، فتشمَل الأرضَ والبيئةَ كلَّها، «ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» [الروم: ٤١].

ذلك أنَّ الصلةَ وثيقةٌ بين الكونِ وبين ما نأتي وما نَذَر من أعمال، فإن مشت على سَنَنٍ قويم وطريقٍ مُستقيم بإدراكِ الغاية من خلق الإنسان، وتحقيقِ العبودية لله ربِّ العالمين، والمُسارَعة إلى مَرضاته، والاستقامةِ على منهجه؛ فإنَّ الله يُفيضُ عليهم من خزائنِ رحمته، ويُنزِّلُ عليهم بَركاتٍ من السَّماء، ويُفيءُ عليهم خيراتِ الأرض، كما عبَّر عن ذلك نوحٌ عليه السلام في دعوته لقومِه وحثِّه لهم على الإيمان بربهم والاستغفار لذنوبهم: « فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا » [نوح: ١٠-١٢]، وقال عزَّ اسمُه في شأن المُعذَّبين من أهل القرى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ » [الأعراف: ٩٦].



وتلك مساكنُ وآثارُ الذين ظَلَموا أنفسَهم بنبذِ كتاب الله وراءَهم ظِهريًا، واتخاذِهم أهواءَهم آلهةً من دون الله، واتِّباعهم ما أسخَطَ اللهَ، وكراهَتِهم رضوانه؛ فكانت تلك الديارُ مشاهدَ عظةٍ وذكرَى لأولي الألباب، « فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ » [الحج: ٤٥].

ولذا فإنَّ أُولي النُّهى لا يملِكون وهم يسمَعون نداءَ الله يُتلى عليهم في كتابه إلا أن يُصيخوا ويَستجيبوا لله وللرسول ؛ إذ هي دعوةٌ تحيا بالاستجابة لها القلوب، القلوبُ التي لا حياةَ لها إلا بالإقبال على الله تعالى، وتحقيق العبودية له، ومحبته وطاعته، والحذر من أسباب غضبه، وبمحبَّة رسوله واتِّباع سنَّته، والاهتداء بهَديه، وتحكيم شرعه، « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » [الأنفال: ٢٤]. فإنَّه سبحانه يحُول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، أي: فلا يستطيع أن يُؤمن ولا يكفر إلا بإذنه عز وجل.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد في «مسنده» والنسائي وابن ماجه في «سننهما» بإسناد صحيح عن النواس بن سمعان أنَّه قال: سمعتُ النبي يقول: «ما من قلبٍ إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين، إذا شاء أن يُقيمَه أقامَه، وإذا شاء أن يُزيغَه أزاغَه»، وكان يقول: «يا مُقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك»، قال: «والميزانُ بيد الرحمن يخفِضه ويرفعه».

فاتقوا الله عباد الله، واستجيبوا لله وللرّسول، واذكروا أنَّ ربَّكم قد ضمِن لمن اتَّبع هُداه وسار على منهجه أن يُؤتِيَه المجدَ ويُبلِّغه الرِّفعةَ التي تَصبُو إليها نفسُه، فقال عزَّ اسمُه: « وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ » [الزخرف: ٤٤]، وقال سبحانه: «لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » [الأنبياء: ١٠]، أي: شرفكم ومجدُكم ومكارمُ أخلاقكم ومحاسن أعمالكم وفوزُكم في

الدنيا والآخرة.

فيا عبادَ الله، إنَّ المؤمنَ حين يقفُ على مُفترَق طرقٍ، وحين تُعرضُ عليه شتَّى المناهِج؛ لا تعتريهِ حيرةٌ ولا يُخالِجه شكٌّ في أنَّ منهج ربِّه الأعلى وطريقَه هو سبيلُ النجاة وطريقُ السعادة في حياتِه الدنيا ويومَ يقوم الناس لرب العالمين.

وفي آياتِ الكتابِ الحكيم مما قصَّ الله علَينا نبأه في شأنِ أبينا آدمَ عليه السلام حين أُهبِط من الجنَّة بتأثير إغواء الشيطان وتزيين المعصية له أوضَحُ الأدلة على ذلك. فأمَّا المُتَّبعُ هُدى ربِّه فهو السعيدُ حقًّا، «قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ» [طه: ١٢٣]، وأما المُعرِضُ عن ذكرِ ربِّه بمخالفةِ أمرِه وأمرِ رسوله وبالأخذِ من غيرِه فعاقبةُ أمره خُسرًا ومعيشة ضنكًا، «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا» [طه: ١٢٤-١٢٦].

إنها معيشةٌ يُصوِّر واقعَها الإمامُ الحافظ ابن كثيرٍ رحمه الله بقوله: «أي: ضنكًا في الدنيا؛ فلا طمأنينةَ له، ولا انشراحَ لصدرِه؛ بل صدرُه ضيِّقٌ حرجٌ لضَلاله وإن تنعَّم ظاهرُه، ولبِسَ ما شاءَ، وأكلَ ما شاءَ، وسَكنَ حيث شاء؛ فإنَّ قلبه ما لم يخلُص إلى اليقينِ والهُدى فهو في قلقٍ وحيرةٍ وشكٍّ، فلا يزالُ في ريبه يتردَّد، فهذا من ضنك المعيشة» اهـ.



أعاذنا الله منها، ومن العمى بعد الهدى، وجعلنا ممن أنابَ إلى ربِّه وتابَ إليه فهُدى.

فاتقوا الله عبادَ الله، واتَّخذوا مما جاءكم من ربِّكم من البينات والهُدى خيرَ عُدَّةٍ تبلغُون بها سعادةَ الآخرة والأولى.

وصلُّوا وسلِّموا على خيرِ الورى...

اعتذار

يعتذر رئيس تحرير مجلة التوحيد عن كتابة كلمة التحرير هذا الشهر، وذلك لسفره إلى تركيا لحضور فعاليات مؤتمر رابطة الصحافة الإسلامية بتركيا، ويواصل معكم الشهر القادم بإذن الله تعالى وحوله وقوته.

باب التفسير

تفسير سورة الصافات

الحلقة الخامسة

إعداد:
د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

قال تعالى: « وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾
وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ
فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾
وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ »

[الصافات: ١١٤ - ١٤٨]

ما زال الحديث موصولاً في الإشارات اللطيفة الموجزة في قصص الأنبياء عليهم السلام.

قصة موسى وهارون:

« وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ » أي أنعمنا عليهما، ونعم الله سبحانه وتعالى تكون بجلب المنافع ودفع المضار، والمنافع نوعان: دينية ودنيوية، والدينية أعظم من الدنيوية، والله سبحانه وتعالى أنعم على موسى وهارون

بنعم كثيرة، دينية ودنيوية، فمن النعم الدينية أن الله سبحانه وتعالى اجتباهما، واصطفاهما، واختارهما، ونبأهما، وأرسلهما إلى فرعون وملئه.

«وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾» هذا النوع الثاني من النعم وهو دفع المضار، والكرب العظيم هـو استعباد فرعون لبني إسرائيل، «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ» [القصص: ٤]، «وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ» [الدخان: ٣٠- ٣١]، فالله سبحانه نَجَّى موسى وبني إسرائيل من الكرب العظيم، ومن العذاب المهين، الذي أذاقه فرعونُ بني إسرائيل.

«وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾» نصرنــا موسى وهارون وبني إسرائيل فكانوا هم الغالبين، وقد بيَّن الله تعالى كيف نصرهم في مواضع كثيرة: كما في سور: يونس، والأعراف، والشعراء.

«وَءَاتَيْنَٰهُمَا» أي موسى وهارون «ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾» الكتاب البيِّن الواضح، وهو التوراة، «وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾» أي القيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام؛ فإنه الطريق الموصلة إلى الحق والصواب عقلاً وسمعًا، أو إلى المطلوب وهو الجنة، «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾»، وقد تقدَّم الكلام على هذه الآيات.

قصة إلياس عليه السلام:

«وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾» ألا تخافون الله، ألا تخشون غضب الله، ألا تخافون عقاب الله. «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» صنمًا كانوا يعبدونه، فأنكر عليهم نبيهم عبادته، فقال: «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» أتعبدون صنمًا لا يبصر ولا يسمع، ولا يتكلم، ولا يضر ولا ينفع، «وَتَذَرُونَ» أي وتتركون عبادة «أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾»، وهو «ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾» فالذي يستحق العبادة هو الله؛ لأنه «ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ» [الأعلى: ٢- ٣]، «أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» [النحل: ١٧]؛ ولذلك لما أمر الله الناس بعبادته ذكر خلقه لهم ولغيرهم، فقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢١- ٢٢]، أي فلا تجعلوا لله أشباهًا ونظراء من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وهم مثلكم مخلوقون، والحال أنكم تعلمون أن الله تعالى ليس له شريك في الخلق، وهو كذلك ليس له شريك في العبادة.

«فَكَذَّبُوهُ» أصروا على الشرك، واستكبروا عن التوحيد، فحقت عليهم كلمة العذاب، ولذلك قال تعالى: «فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾» أي في العذاب المهين يوم القيامة بسبب شركهم بالله وعبادتهم غير الله؛ لأن الله قال: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ» [النساء: ٤٨]، وقال: «إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» [المائدة: ٧٢].

«إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾» الذين أخلصهم الله لنفسه فأخلصوا العبادة لله، الذين عبدوا الله ولم يشركوا به شيئًا، فأولئك في جنات النعيم.

«وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾» [الصافات: ١٢٩- ١٣٢]، وقد تقدم الكلام على هذه الآيات.

قصة لوط عليه السلام:

«وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾» وكان لوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام، هاجر معه من العراق واستقر في الشام، ونبّأه الله تعالى وأرسله إلى تلك القرى، وكانوا قوم سوء، كانوا مع شركهم يأتون الفاحشة التي ابتدعوها ما سبقهم بها من أحد من العالمين، وهي الاستغناء بوطء الرجال عن النساء، وحاول لوط عليه السلام جاهدًا أن يثنيهم عن الفاحشة، وعن الشرك بالله عز وجل، لكن القوم أصروا واستكبروا استكبارًا، «فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ٨٣﴾ [هود: ٨٢- ٨٣]، فالله سبحانه وتعالى يحذّر كفار قريش، وكانت لهم أسفار إلى الشام واليمن، وهما رحلتا الشتاء والصيف، وكانوا يمرون بهذه القرى المُدمَّرة البائدة، فأنكر الله عليهم عدم الاعتبار بما أصاب القوم، فقال: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ١٣٦ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨﴾ إنكم تمرون عليهم بالليل وبالنهار، فاعتبروا واحذروا؛ لأنهم لما كذّبوا رسلهم كانت عاقبتهم كما ترون، فاحذروا أن تكونوا مثلهم، فإن العاقل من اتعظ بغيره.

قصة يونس عليه السلام:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٩﴾ سماه النبي صلى الله عليه وسلم يونس بن متى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» [متفق عليه].

ولقد أرسله الله تبارك وتعالى إلى نِينَوى بالموصل بالعراق، فلبث فيهم سنين يدعوهم إلى التوحيد والإيمان بالله رب العالمين، لكن القوم لم يستجيبوا له مع طول المدة، ولم يؤمنوا به، فلما أصرّوا على الكفر خرج من بينهم غضبان لربه أنهم لم يؤمنوا، ولما يأذن الله تبارك وتعالى له في الهجرة، والواجب على النبي ألا يهجر قومه حتى يأذن الله تعالى له، لكن يونس عليه السلام لما غضب على قومه خرج من بينهم دون أن يأذن الله له، فكان هذا ذنبًا عظيمًا من يونس، فعاقبه الله تعالى بالحبس في سجن لم يسجن فيه غير يونس عليه السلام وهو بطن الحوت، ولذلك أمر الله تعالى نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالصبر، ونهاه عن الاستعجال، فقال: «فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ» [القلم: ٤٨]، إياك أن تهجر قومك دون أن يأذن الله لك، اصبر عليهم وتحملهم حتى يأتي أمر الله، ولذلك أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الهجرة بعدما اشتد بهم عذاب قريش واضطهادهم، وظل هو صلى الله عليه وسلم صابرًا محتسبًا، وكان أبو بكر رضي الله عنه كلما همَّ بالهجرة يقول له: اصبر يا أبا بكر لعل الله أن يجعل لك صاحبًا، فكان أبو بكر يفهم أنه يعني نفسه.

على الداعية أن لا يغير البيئة حتى يستخير ربه:

لما هجر يونس عليه السلام قومه وخرج من بينهم: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١٤٠﴾ أي المملوء، وكان من عادتهم إذا كان الحمل ثقيلاً على السفينة أن يلقوا أحد الركاب حتى يخفّ الحمل وتسير السفينة، فقالوا: لا بد من إلقاء بعض الركاب حتى يخفّ الحمل، فهمَّ يونس عليه السلام بإلقاء نفسه، وهم يعرفون أنه نبي فامتنعوا عن إلقائه، فعزم فامتنعوا، فلما رأوا إصراره اتفقوا على إجراء القرعة، «فَسَاهَمَ» أي اقترع مع ركاب السفينة، فخرج سهم يونس عليه السلام «فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ١٤١» أي المغلوبين بالقرعة، «فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ١٤٢»، أي آتٍ بما يُلام عليه، وهو هجره قومه دون أن يأذن له ربه.



لذلك يجب على الداعية إذا كان في مكان ما يدعو فيه الناس إلى الله تعالى، وبدا له أن يغيّر البيئة، يجب عليه أن لا يستعجل بتغيير البيئة حتى يستخير الله تعالى، فيقسم الله له الخير، فالله تعالى يقول: «وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢١٦]، فإذا كان الداعية في بيئة ووقع في قلبه أن يغيرها، فلا بد له من الاستخارة، أن يتبرأ من حوله وقوته، ويلجأ إلى حول الله وقوته، وأن يتوسل إلى الله بعمل صالح أن لا يكله إلى نفسه في هذا الأمر، فربما رأى الداعية بعض الأماكن خيرًا له، وخيرًا من بيئته التي هو فيها، ورجا أن

تكون الدعوة هناك أحسن، فخرج دون استخارة، فكانت العاقبة التي لا تُحمد، وكانت البيئة التي انتقل إليها شرًّا من البيئة التي انتقل منها.

تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة:

«فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾»: قال بعض أهل العلم: المراد بالتسبيح نداؤه في بطن الحوت، «وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ» [الأنبياء: ٨٧]، فنفعه هذا التسبيح وهذا الاعتراف بالذنب والخطيئة وظلم النفس، فأنجاه الله سبحانه وتعالى من الحبس في بطن الحوت، ولولا هذا التسبيح للبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة. هذا رأي.

والرأي الثاني ولعله الأرجح «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» الذاكرين العابدين الحامدين قبل هذا البلاء، وقبل هذه المحنة، لولا ذلك «لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» فشفَّع الله تعالى في يونس وقت المحنة صالحَ عمله الذي قدّمه في وقت الرخاء، ومن هنا جاء الحديث: «تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ» [ابن ماجه ٢٩٥٨ وصححه الألباني].

فإذا كنت في حالة النعمة والمنحة مسبِّحًا مهللاً مكبرًا حامدًا عابدًا ذاكرًا، فإنك إذا ابتُليت بالنقمة، وابتُليت بالبلاء، فدعوت الله سبحانه وتعالى شفَّع الله فيك ماضيك الحسن، وشفَّع فيك سابقَ عملك الصالح، ونجّاك مما وقعت فيه من الضيق، ومما نزل بك من الهم والبلاء، والكرب والخطب.

قال بعض السلف: من أراد أن يعرفه الله في الشدة، فليعرف الله في الرخاء، فإن يونس لما وقع في بطن الحوت، قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فقال الله تعالى: «فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

«فَنَبَذْنَٰهُ» النبذ معناه الطرح والإلقاء، أي طرحناه وألقيناه «بِٱلْعَرَآءِ» الخلاء الواسع «وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾»، وهو متعب، كليل، عليل؛ من الضيق الذي كان فيه.

«وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾» قالوا شجرة اليقطين هي شجرة القرع؛ لأن ورقها عريض، والذباب لا يسقط عليها، فحماه الله تبارك وتعالى بهذه الشجرة من حر الشمس، وأذى الذباب، وخاصة أنه سقيم.

«وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾» وكان القوم حين فقدوه تأكدوا من صدق كلامه أن العذاب سيحل بهم فآمنوا أجمعون، وخرجوا إلى الصحراء بأولادهم وبهائمهم رجالاً ونساءً وأطفالاً ورُضّعًا، يجأرون بالدعاء والتوبة والاستغفار، فاستجاب الله لهم، وتاب عليهم، ورفع عنهم العذاب، ورد عليهم يونس عليه السلام، وسُنّة الله في الكافرين أن العذاب إذا نزل بهم فآمنوا لم ينفعهم الإيمان، كما قال تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا» [غافر: ٨٤- ٨٥]، لكن الله تعالى استثنى من هذه السُّنّة قومَ يونس، ولذلك قال تعالى: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ» [يونس: ٩٨].



«وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾» قال بعض المفسرين: أو هنا للإضراب بمعنى بل، وأرسلناه إلى مائة ألف بل يزيدون، فهو خبر مقطوع أنهم أكثر من مائة ألف، قالوا: كانوا مائة ألف وعشرين ألفًا، وقالوا: مائة وثلاثين ألفًا، والله تعالى أعلم.

وقال بعضهم: «فَـَٔامَنُوا» في نظر الرائي، إذا أحصاهم قال: مائة ألف أو يزيدون.

«فَـَٔامَنُوا» لما رجع إليهم يونس عليه السلام «فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾».

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

بدع الجنازات والمآتم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تمر بالناس فترات، ينسون فيها آداب دينهم وأحكام شرعهم، وتميل نفوسهم تبعًا للشهوات والأهواء، أن تلتزم مظاهر خاصة، وتشتهر هذه المظاهر عنهم، وتسري إلى غيرهم، وتصير بعد ذلك، عادات عامة وتقاليد تغشى القرى والمدن، وتصير في أذهان كثير من الناس، أمورًا مطلوبة، يلحق النقص أعمالهم إذا لم تكن موجودة.

ومن هنا حدثت بدع ومنكرات في الجنازات والمآتم والأفراح في سائر أنحاء المجتمعات وصار الحكم على المجتمع بالتقدم والتأخر معقودًا بما لهذه المظاهر من آثار سيئة أو آثار حسنة، وقد تفشى في بلادنا كثير من المظاهر، اعتادها الناس في مآتمهم، وهي مما يمقتها الشرع ويأباها الخلق الكريم، وقد تمسكوا بها، حتى ظن كثير من العامة والأجانب الذين لا يفهمون حقيقة الإسلام، أنها من الشئون التي يطلبها الشرع ويقرها الدين، وبذلك ألصقوا بالدين ما ليس منه، وصوروه أمام الناقدين بصورة تسعفهم بأشد وجوه النقد والتجريح.

وإنه ليجب على علماء الدين أن يبينوا للناس حكم الدين في هذه البدع وتلك التقاليد، كما يجب على جهات التنفيذ ذات الشأن في تلك العادات، أن تعمل على

بقلم فضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ

محمود شلتوت

شيخ الأزهر الأسبق

- رحمه الله -

تطهير البلاد من هذه العادات السيئة، فتريح الناس من مساوئها وتغسل عنهم أدرانها، وتزيل في الوقت نفسه عن الدين وصمة ألحقها به جهل العامة، ومسايرة الخاصة لهم فيما يحدثون من بدع وعادات سيئة.

ونبادر نحن الآن ببيان حكم الإسلام في أشهر ما اعتاده الناس في الجنائز والمآتم من حين الوفاة إلى آخر ما هو معروف بأيام التعزية:

الحكمة في تشييع الجنازة

وينبغي أن يعرف أولاً أن الغرض من تشييع الجنازة، هو الاتعاظ بالموت، واستحضار جلاله، فيقضي على غطرسة النفوس الجامحة التي يأخذها الغرور فتهتك الحرمات، وتعبث بالحقوق، وتستهين بالحياة، وقد شرع الإسلام تشييع الجنازة وحث عليه، وحبب فيه، وجعل به وعليه الأجر العظيم، لتلك الحكمة السامية، حكمة الاتعاظ، ومما جاء في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «عودوا المرضى، واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة» (البخاري في الأدب المفرد ٥١٨)(١).

وفي تذكر الآخرة التي يجد فيها كل امرئ ما قدمت يداه، ما يقتلع من النفوس طغيانها، ويردها إلى قسطها العادل في هذه الحياة، وتحصيلاً لهذه الحكمة على الوجه الأبلغ، طلب الشارع الصمت من المشيعين حتى تخلص العظة، وتتمكن الذكرى من القلوب.

حرمة رفع الصوت بالذكر:

وبهذا الأصل حرم رفع الصوت في تشييع الجنازة ولو بالذكر وقراءة القرآن، وطلب الاستغفار للميت.

ومما جاء في هذا أن أحد المشيعين لجنازةٍ على عهد أصحاب رسول الله رفع صوته بقوله: استغفروا للميت، فقال له الأصحاب: لا غفر الله لك.

وإذا كان طلب الاستغفار وهو دعاء من الحاضرين للميت، وهو في ذاته عبادة، بهذه المثابة من الإنكار واستحقاق صاحبه المقت والتشنيع والدعاء عليه إذا صدر منه في تشييع الجنازة، فما بالنا بالصياح، والندب، والنياحة، وعزف الموسيقى ذات النغمات المحزنة!!

إن هذه المظاهر فضلاً عن أنها تحول دون التذكر والاتعاظ المقصودين من تشييع الجنازة، تثير الأحزان وتبعث الأسى، وتخلع القلوب، وتأخذ بها إلى غير جهة العظة والاعتبار، وتصرفها عن جميل الصبر ومظاهر الرضا بقضاء الله.

على النائحة سربال من قطران:

ومن هنا أجمع الفقهاء على حرمة هذه الظواهر تحريمًا قاطعًا لا شك فيه، وقد ورد فيها من التحذير والوعيد ما يجدر بالمسلم أن يرتدع به، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب» (مسلم ٢٢٠٣). والمراد بهذا التصوير ردع النفوس عن ملابسة هذه الظواهر، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية» (الترمذي ٩٩٩) (٢).

وقد جاء صريح التبري من فاعل هذه الظواهر في حديث أبي موسى الأشعري: «أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة» (البخاري ١٢٩٦).

والصالقة: هي التي ترفع صوتها بالندب والنياح، والحالقة: هي التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة: هي التي تشق ثوبها زيادة في الهلع.

المشرع الإنساني:

وقد أدرك المشرع الإنساني ما في هذه المظاهر من تكدير وإيلام، وقدر ما فيها من تكدير راحة السكان، فنص في قانون العقوبات على عقوبة من يرتكب هذه المظاهر في الجنازات، وليس من ريب أن تكدير راحة السكان جهة أخرى يأباها الإسلام، ويحرص جد الحرص على وقاية المجتمع منها.

> الغرض من تشييع الجنازة، هو الاتعاظ بالموت، واستحضار جلاله، فيقضي على غطرسة النفوس الجامحة التي يأخذها الغرور فتهتك الحرمات، وتعبث بالحقوق، وتستهين بالحياة، وقد شرع الإسلام تشييع الجنازة وحث عليه، وحبب فيه، وجعل به وعليه الأجر العظيم، لتلك الحكمة السامية، حكمة الاتعاظ

عمر رضي الله عنه والنائحة:

وقد كان من سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مثل هذا أنه سمع ذات مرة بكاء، فدخل مكان الصوت بدرته الميمونة على الحاضرين ضربًا حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها، وقال لمن معه: اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكي لشجوكم، إنها تريق دموعها على أخذ دراهمكم، إنها تؤذي موتاكم في قبوركم، وأحياءكم في دورهم، إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه.

إلى المشرع العربي الذي التحف الإسلام من أول عهده:

وإذا كنا نحس من ظواهر المآتم والجنازات الشائعة عندنا هذه الآثار السيئة، الجزع ومضاعفة الحزن وتكدير صفو الحي، وإضاعة المال في غير نافع، وكلها عوامل تفت في عضد الأمة، وتحول بينها وبين الحياة الحازمة الشريفة، فجدير بالمشرّع العربي، وهو أقرب المشرّعين صلة بالروح الدينية الخلقية أن يتأسى بعمر بن الخطاب، ويرعى هذه الشئون بتشريع حازم حكيم، عملاً بمبادئ الإسلام، وتحقيقًا لمظاهر الخلق الكريم، وكذلك جدير بسلطة التنفيذ العربية وهي أقرب سلطات التنفيذ صلة بالروح الدينية الخلقية أن تهيمن هيمنة

جادة صادقة على تنفيذ ما يتخذه المشرع وقاية للمجتمع من شر هذه الظواهر.

خروج النساء في تشييع الجنازة:

وإذا كانت هذه الآثار السيئة تلازم خروج النساء في تشييع الجنازة، فضلاً عما ينحدر إليه من التوغل في مظاهر الهلع: من شق الثياب، واختلاطهن بالرجال، مكشوفات الرءوس المنقوشة، والوجوه المصبوغة بالأسود والأزرق، فإنه مما لا ريب فيه أن خروجهن في تشييع الجنازة يكون من أشد المحرمات وأسوأ العادات، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجعهن في تشييع الجنازة وقال لهن: «ارجعن مأزورات غير مأجورات» (ابن ماجه ١٥٧٨). وهذا من أبلغ أنواع الزجر الدال على الحرمة والإنكار.

إقامة المآتم ومجتمع العزاء:

أما إقامة المآتم ليلة أو أكثر فقد أجمع العلماء على حرمته إذا كان على الهيئة التي نعهدها اليوم من إقامة السرادقات التي تتطلب نفقات باهظة في غير غرض صحيح، وتشتد الحرمة إذا كان في الورثة قاصرٌ يحمَل نصيبه من هذه النفقات، أو كان أهل الميت في حاجة إلى ما ينفق في هذا السبيل.



وتتضاعف شدة الحرمة إذا كان الحصول على هذه الأموال عن طريق الربا كما يفعله بعض الناس التماسًا للشهرة، وقد كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصرف الناس بعد دفن الميت إلى مصالحهم، وأن يعزَّى أهل الميت حين المقابلة في الثلاثة الأيام الأولى، ولم يثبت عن مسلمي الصدر الأول أنهم جلسوا في مكان معين بقصد أن يذهب الناس إلى تعزيتهم في موتاهم.

الأسوة الحسنة الدائمة:

ومن المبادئ التي وضعها الإسلام، ولا تختلف مصلحتها بمرور الأيام، ولا بمختلف الأمكنة والأشخاص قول الله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) (الأحزاب:٢١).

وقد انعقد إجماع الفقهاء على كراهة ذلك الاجتماع، وفيه قال الإمام الشافعي: وأكره المآتم. وهو الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء، فإن ذلك يجدد الحزن ويكلف المئونة.

تأتي بعد هذا وذاك تلك العادة السيئة التي ينفر منها الأدب، ويندى لها الجبين: عادة الخروج إلى المقابر والمبيت فيها، ولسنا بحاجة إلى شرح الظواهر السيئة التي تؤذي الخلق الكريم، وتزج بالأعراض إلى سوق المهانة والابتذال، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم «لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» (أبو داود ٣٢٣٦) (٣).

وقد سبق أن بعض الهيئات التنفيذية أعلنت حَظرَ المبيت في المقابر تلافيًا لهذه المخازي، ولكن لا ندري ماذا وقف أمام التنفيذ والرعاية لهذا الإعلان الكريم.

نعم: إن زيارة المقابر مشروعة، ولكن لها أدب يجب أن يُرعى، وحرمة ينبغي أن يُحافظ عليها، والمقصود منها هو الدعاء للميت، والاتعاظ بالموتى، هذا في زيارة الرجال، أما زيارة النساء، فمن الفقهاء من حَرَّمها مطلقًا للشابة والعجوز، ومنهم من أباحها للعجوز، وقال ابن الحاج من كبار المالكية: إن هذا الخلاف في نساء زمنهم، مع ما يُعلم من عادتهم في الاتباع، أما خروجهن في هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول عالم أو من له غيرة في الدين بجواز ذلك، فإن وقعت ضرورة للخروج، فليكن ذلك على أدب الشرع من الستر، لا على ما يعلم من عادتهن الذميمة في هذا الزمان.

أما الصدقات فهي من البر، بشرط ألا تكون على الوجه الذي حظره الشارع.. كذبح الحيوانات عند خروج الجنازة، وعند وصولها إلى القبر، ففيها الرياء الذي يحبط الأعمال ويضيع ثوابها.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الذبح عند القبور بقوله: «لا عقر في الإسلام» (أبو داود ٣٢٢٢)(٤). والسنة في الصدقة الإسرار، وتوخي المحتاجين، وذلك أرجى للخير، وأدعى إلى القبول، (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (البقرة:٢٧١).

والحمد لله رب العالمين.

١- صححه الألباني. ٢- صححه الألباني.
٣- ضعفه الألباني. ٤- صححه الألباني.

باب السنة

السنة هي المصدر الثاني للتشريع

الحلقة الرابعة

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلق سيد ولد آدم، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن الصحابة والتابعين وقوة الحفظ لديهم، وتكلمنا عن إذنه صلى الله عليه وسلم بكتابة السنة، والجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن، ونكمل في هذا العدد، فنقول وبالله التوفيق وبه الثقة:

شبهة امتناع الصحابة رضي الله عنهم عن كتابة السنة وتدوينها

فإن قيل: قد كان الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم - يمتنعون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة وتدوينها، بل وأحرقوا ما كُتب منها، واستدلوا على فعلهم هذا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابتها، وهذا كله يدل على عدم حُجية السنة، وعلى أن نهيه كان متأخرًا عن الإذن وناسخًا له، وإلا لعملوا بمقتضى الإذن.

فالجواب على ذلك من وجوه:

أولها: أنهم لم يكونوا مُجمعين على عدم كتابة السنة، ولا على محو ما كُتب أو تحريقه، وإنما أباح أكثرهم الكتابة واحتفظ بما كتب، والبعض كان يكتب بالفعل، ومن ذلك:

١- لما وجَّه الصديق - رضي الله عنه - أنس بن مالك إلى البحرين عاملاً على الصدقة كتب لهم: «إن هذه فرائض الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، والتي أمر الله عز وجل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعط، ومن سُئل فوق ذلك فلا يعطِ»... الكتاب (النسائي ٢٤٤٧ وصححه الألباني).

٢- روى مسلم عن ابن أبي مليكة أنه قال: «كتبت إلى ابن عباس رضي الله عنهما أسأله أن يكتب لي كتابًا ويخفي عني، فقال: ولد ناصح، أنا أختار له الأمور اختيارًا وأخفي، فدعا بقضاء عليّ فجعل يكتب منه أشياء، ويمر بالشيء فيقول: والله ما قضى بهذا عليٌّ إلا أن يكون ضَل» (مسلم ٧).

٣- وروى عن طاوس أنه قال: «أُتي ابنُ عباس - رضي الله عنهما - بكتاب فيه قضاء عليّ - رضي الله عنه - فمحاه إلا قدرًا، وأشار سفيان بذراعه» (أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/١٣-١٤)).

٤- وروى أحمد عن القعقاع بن حكيم أنه قال: «كتب عبدالعزيز بن مروان إلى ابن عمر - رضي الله عنهما -: أن ارفع إليَّ حاجتك، فكتب إليه ابن عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إن اليد العليا خير من اليد

السفلي، وابدأ بمن تعول». ولستُ أسألك شيئًا ولا أرد رزقًا رزقنيه الله منك» (أحمد ٤٤٧٤).

٥- روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك قال محمود: قدمت المدينة فلقيت عتبان فقلت: حديث بلغني عنك، قال: أصابني في بصري بعض الشيء، فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأتخذه مصلى، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه، فدخل وهو يصلي في منزلي، وأصحابه يتحدثون بينهم، ثم أسندوا عُظم ذلك وكبره إلى مالك بن دُخْشُم، قالوا: ودوا أنه دعا عليه فهلك، وودوا أنه أصابه شر، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة، وقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟». قالوا: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه، قال: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه». قال أنس: فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني: اكتبه، فكتبه) (مسلم ٣٣).

وهناك عشرات الآثار، بل مئات الآثار التي تدل على وجود الكتابة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة رضي الله عنهم.

ثانيها: أن محو ما كُتب أو تحريقه والنهي عن الكتابة الحاصل من بعض الصحابة؛ لو سُلم أنه حجة فليس فيه دلالة على عدم حُجية السنة، وذلك لما تقدم من أن نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الكتابة لا يدل على عدم حُجية السنة، وإنما كان النهـي لعلل أخـرى.

ثالثها: أن هذه الأمور لا دلالة فيها على أن النهي متأخر عن الإذن وناسخ له؛ لأنه يمكن أن يقال: إن كلاً من النهي والإذن عامٌ في جميع الأحوال؛ وعليه فقد استمر هذا البعض على هذه الأمور بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم لم يطلعوا على إذنه، واعتقدوا استمرار الحكم وعدم نسخه، كما يمكن أن يقال مثل ذلك في التدوين وجمع السنة في كتاب واحد مع القرآن.

شبهة امتناع الصحابة عن التحديث بالسنة ونهيهم عنه

فإن قيل: قد ظهرت الحكمة من امتناعهم عن كتابة السنة وتدوينها، ولكن ماذا نقول في امتناعهم عن التحديث بها ونهيهم عنه؟ أفلا يدل حصول ذلك منهم على أن عدم حجية السنة كان متقررًا عندهم، وأنهم علموا إرادة الشارع ألا تُنقل حتى لا يتخذها الناس دليلاً على الأحكام الشرعية؟

والجواب على ذلك يتضح فيما يلي:

أولاً: لا يصح أن يتوهم مُتوهم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم امتنعوا كلهم عن

قال عمر رضي الله عنه: إياكم والرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها. وكان يقول: خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

التحديث في جميع الأحوال، ولا أن بعضهم امتنع أحيانًا؛ لكون ذلك الامتناع ناشئًا عن عدم حجية السنة، وكيف يصح هذا التوهم، وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحديث وحثهم على التبليغ لما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم إلى من بعدهم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نضّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلّغه كما سمعه، فرُبّ مُبلّغ أوعى له من سامع». [الترمذي ٧٥٦٢ وصححه الألباني]، وقال فيما روى ابن عباس رضي الله عنهما -: «تسمعون ويُسْمَعُ منكم، ويُسْمَعُ ممن سَمِعَ منكم» (أبو داود ٣٦٥٩ وصححه الألباني).

وقد تواتر عن الصحابة رضي الله عنهم - سواء منهم من حدّث ومن امتنع عن التحديث - أنهم كانوا أحرص الناس على التمسك بالسنة، وعلى تبليغها والتحديث بها، والاحتجاج بها على الغير، وعلى الأخذ بها والاقتناع بها إذا احتج بها الغير، عادلين عن آرائهم، وعلى الرجوع إليها فيما يطرأ من الحوادث، وعلى حض غيرهم على العمل بها، وذلك كله من غير نكير من أحد.

فأبو بكر رضي الله عنه يحتج بحديث: «الأئمة من قريش» (مسند أحمد وصححه الألباني في إرواء الغليل ٥٢٠) على الأنصار يوم السقيفة فيقبلون منه، دون نكير من أحد، وكذلك يحتج بحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» (مسلم ١٧٥٧) على فاطمة رضي الله عنها فتقبل منه، وعمر يحتج على أبي بكر رضي الله عنهما

بحديث: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله». فيرد عليه أبو بكر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: «إلا بحقها» (متفق عليه).

ويحتج أيضًا عمر رضي الله عنه وهو يقبِّل الحجر الأسود بقوله: «لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» (متفق عليه)، ويُحَدِّث على المنبر بحديث: «إنما الأعمال بالنيات..» (البخاري ١) ويقتنع بحديث الاستئذان الذي رواه أبو موسى بعد أن شهد بسماعه أبو سعيد الخدري رضي الله عنهما (البخاري في الأدب المفرد ٤٣٦ وصححه الألباني).

وهو أيضًا القائل: إياكم والرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وهو القائل كذلك: خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وقال أيضًا - رضي الله عنه -: سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى.

ويقول علي رضي الله عنه: «إذا حُدثتم - وفي رواية: إذا حدثتكم - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا، فظنوا به الذي أهنا والذي هو أتقى، وفي رواية: فظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم أهناه وأتقاه وأهداه».

ويحتج ابن مسعود رضي الله عنه بحديث: «لعن الله الواشمة» (متفق عليه). ويروي حديث: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجَاء» (متفق عليه). محتجًا به على عثمان رضي الله عنه لما عرض عليه الزواج.

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول له ابن عمر رضي الله عنهما: «كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفنا بحديثه». ويترحم عليه في جنازته، ويقول: «كان يحفظ على المسلمين حديث نبيهم». ويقول أبو هريرة رضي الله عنه فيما يرويه البخاري رحمه الله: «إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا: «﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾» (البقرة:١٥٩، ١٦٠)، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون» (متفق عليه).

وأبو ذر رضي الله عنه يقول: «لو وضعتم الصَّمْصَامَةَ (أي: السيف) على هذا (وأشار إلى قفاه)، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها».

والبراء بن عازب - رضي الله عنه - يقول - فيما يرويه أحمد: «ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا أصحابنا عنه، كانت تشغلنا رِعْيَةُ الإبل».

والآثار في ذلك عن الصحابة كثيرة جدًا لا يمكن حصرها، وقد سبق كثير منها - فيما مضى - ومجموعها يفيد إفادة قطعية أنهم ما كانوا يمتنعون عن التحديث لذات التحديث، ولا لأن الحديث ليس بحجة في نظرهم - بل لبعض الموانع التي تطرأ، ويفيد أن حجية السنة متقررة في نفوسهم مجمعون عليها، ولا يصح أن يتوهم أحد أنهم امتنعوا عن التحديث ونهوا عنه لعدم حجيتها في نظرهم؛ بعدما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر بالتبليغ والتحديث، وبعدما ثبت من إجماعهم على حجية السنة، وعلى حرصهم على امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتحديث عنه والتبليغ.

أفيسوغ لعاقل بعد أن عرف هذا أن يتصور أن الإسلام هو القرآن وحده، وأن السنة وما أجمع عليه الصحابة ليس بحجة؟ وأن نهي صحابي أو اثنين أو أكثر عن التحديث دليل على عدم حجية السنة بعد أن عرفت أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعملون بكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتخذونه حجة فيما يَعِنُّ لهم من الأمور، وما يحصل من الحوادث؟!

الأسباب التي حملت الصحابة على الامتناع والنهي

مما سبق يتبين أن هناك أسبابًا حقيقية حملتهم على الامتناع عن التحديث والنهي عنه - بخلاف ما توهمه من يتوهم أن ذلك كان لعدم حجية السنة عندهم - وهذه الأسباب نجملها فيما يأتي:

السبب الأول: أن بعض الآثار التي تمسك بها أصحاب الشبهة تفيد أن الصحابة إنما كانوا ينهون عن الإكثار من التحديث - لا عن التحديث بالكلية -؛ وذلك خشية وقوع المكثر في الخطأ وهو لا يشعر، فيتخذ حديثه الذي أخطأ فيه حجة يعمل بها إلى يوم القيامة، فلذلك كانوا يتحرزون أعظم التحرز، ويُقلون من التحديث، ولا يحدثون إلا بما يثقون به من أنفسهم، ومن كان منهم واثقًا من نفسه فقد أكثر من التحديث.

وهذه الخشية منهم دليل على عظم شأن السنة في نفوسهم، وأنها حجة في الدين يجب العمل بها

- على عكس ما ذهب إليه أصحاب الشبهات -، وهي في ذات الوقت تملأ قلوبنا احترامًا لهم وثقة بهم، واطمئنانًا لما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهناك أحاديث وآثار كثيرة تدلنا على أن خشيتهم من الخطأ كانت السبب في امتناعهم ونهيهم عن الإكثار، وأنهم ما كانوا يحدثون أو يعملون إلا بما يثقون به ويطمئنون إليه، ومن ذلك:

١- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فإنه من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». (الترمذي ٢٩٥١ وصححه الألباني).

٢- عن أبي قتادة - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر: «يا أيها الناس، إياكم وكثرة الحديث، من قال عليَّ فلا يقولنَّ إلا حقًا أو صدقًا، فمن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار». رواه أحمد وابن ماجه (٣٥) والدارمي والحاكم وحسنه الألباني.

٣- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «من روى عني حديثًا وهو يَرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». أخرجه أحمد ومسلم في المقدمة والترمذي وابن ماجه (٣٨) وصححه الألباني، وأخرجوا مثله عن المغيرة بن شعبة.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع». (مسلم ٥).

٥- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «من سمع حديثًا فأداه كما سمع فقد سلم». (مسلم ٥). وقال أيضًا: «بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع». (مسلم ٥).

٦- عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: «إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من تعمد عليَّ كذبًا فليتبوأ مقعده من النار». (متفق عليه).

إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار الكثيرة التي تفيد أن امتناع الصحابة رضي الله عنهم عن التحديث، ونهيهم عنه، إنما كان عن الإكثار من التحديث خشية الوقوع في الخطأ.

السبب الثاني:

أنهم كانوا يمتنعون أو ينهون عن أن يحدثوا قومًا حديثي العهد بالإسلام، ولم يكونوا قد أحصوا القرآن، فخافوا عليهم الاشتغال عنه بغيره؛ إذ القرآن هو الأهم والأصل لكل علم.

يشير إلى هذا السبب قول عمر رضي الله عنه: «إنكم تأتون بلدة لأهلها دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث». وهذا يقع كثيرًا الآن، فالإنسان إذا وُجِّه لحفظ الحديث أو تعلم الفقه أو غيره، ولما يحفظ القرآن؛ فإنه نادرًا ما تكون له همة بعد ذلك لحفظ القرآن الكريم.

السبب الثالث:

أنهم إنما نهوا عن الإكثار من الحديث خوف اشتغال سامع الكثير منهم بحفظه عن تدبر شيء منه وتفهمه؛ لأن المكثر لا تكاد تراه متدبرًا متفققًا.

السبب الرابع:

أنهم كانوا يمتنعون عن التحديث وينهون عنه بالنسبة للعامة وضعاف العقول، وذلك بالأحاديث التي يعسر عليهم فهمها، فيحملونها على غير المراد منها، أو يكون معناها غير مقبول لعقولهم القاصرة، فيعترضون عليها، فيؤدي ذلك إلى تكذيب الله ورسوله.

وفي ذلك يقول ابن مسعود - رضي الله عنه-: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة». (مسلم ٥).

ويقول عليٌّ رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله!!». (البخاري ١٢٧).

أو يكون النهي متعلقًا بالأحاديث التي يُخشى من العامة الاتكال عليها؛ كحديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - ومعاذ رديفه على الرَّحْل -: «يا معاذ بن جبل». قال: لبيك رسول الله وسعديك - ثلاثًا - قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله - صدقًا من قلبه - إلا حرمه الله على النار». قال: يا رسول الله، ألا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذن يتكلوا». وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا» (متفق عليه).

وبذلك يتضح لك أيها القارئ الكريم أن السُّنة حجة بنفسها وأنها المصدر الثاني للتشريع ولا غنى عنها في إثبات الأحكام الشرعية.

نسأل الله تعالى أن يحيينا مسلمين، ويتوفانا مسلمين، وأن يحيينا على سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويجعلنا من أهلها حتى نلقاه سبحانه، وأن يحشرنا تحت لواء نبينا، وأن يسكننا الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

درر البحار (٨٧)

إعداد/ علـــي حشيش

٢٦١٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ». (د (٣٥٨٠) وهو حديث حسن صحيح).

٢٦١٧- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ. (جه: (٢٦١١) وهو حديث صحيح).

٢٦١٨- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي اللهُ عنهما: أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ». (الحاكم في «المستدرك» (١٠٢/١)، وهو حديث صحيح).

٢٦١٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضيَ الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تقرؤها بِهَا». (د (١٤٦٤)، ت(٢٩١٤)، وقال: حديث حسن صحيح).

٢٦٢٠- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُبَاهِيَ مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فيقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا». (حم: (٢٢٤/٢) ح(٧٠٨٩)، وهو حديث حسن صحيح).

٢٦٢١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». قَالَ: أَقَطْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ». (د (٤٦٦) وهو حديث حسن صحيح).

«قال: أَقَطْ؟» الهمزة للاستفهام، و(قط) بمعنى: حسب، والحديث من رواية حَيْوَةَ عن عُقبة عن ابن عمرو، قال عقبة لحيوة: أبلغك عني هذا القدر من الحديث فحسب، قلت: نعم. قائل هذا حيوة، قال أي عقبة: «فإذا قال» الرجل الداخل «ذلك» الكلام «حفظ مني سائر اليوم»، وهذه الجملة من بقية الحديث الذي بلغك عني. (بينت ذلك لأهمية هذا الحديث في الصفات والدعوات).

٢٦٢٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ». (ت: (٢٤٣٠)، وقال: حديث حسن، واللفظ له، د(٤٧٤٢)).

٢٦٢٣- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أَمِنَ الْكِبْرِ أَنْ أَلْبَسَ الْحُلَّةَ الْحَسَنَةَ؟ قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يحبُّ الْجَمَالَ». (الحاكم في «المستدرك» (٨٧/١ رقم ٧٠)، وهو حديث حسن، وهو غير حديث ابن مسعود في صحيح مسلم ح ٩١ الذي أوردناه في هذه السلسلة تحت رقم ١١٦١؛ حتى لا يتقول من لا دراية له بالراوي الأعلى، ولا المتن، ولا مراتب الحديث).

٢٦٢٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، والرِّجلانِ تَزْنِيَانِ، وَالفرجُ يَزْنِي». (حم: (٤١٢/١) ح(٣٩١٢)، وهو حديث حسن. وهذا غير حديث أبي هريرة الذي أوردناه في السلسلة في «المتفق عليه» خ(٦٢٤٣)، م(٢٦٥٧) في متن: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا...» الحديث).

٢٦٢٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُفَضِّلُ صَلَاةَ الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاةً كلُّهَا مِثْلُ صَلَاتِهِ. (حم: (٤٣٧/١)، ح(٤١٥٩) حديث صحيح).

٢٦٢٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَلَّكُمْ سَتُدْرِكُونَ

أَقْوَامًا يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ لِغَيْرِ وَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتُمُوهُمْ فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَصَلُّوا مَعَهُمْ وَاجْعَلُوهَا سُبْحَةً». (ن(٢/٧٥)، واللفظ له، جه(١٢٥٥) وهو حديث حسن صحيح، و(سبحة): نافلة).

٢٦٢٧- عَنْ عَبد الله بن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ في آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». (ت (٢١٨٨)، وقال: حديث حسن صحيح، واللفظ له، جه (١٦٨)).

٢٦٢٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ. فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ. فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ؛ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ». (ن(٧/٨٤) وهو حديث حسن صحيح).

٢٦٢٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ - يَعْنِي مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ - ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ». (د(٢٤٥٠)، وهو حديث حسن صحيح).

٢٦٣٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي؛ يَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا». (د (٤٢٨٢) وهو حديث حسن صحيح).

٢٦٣١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ». قَالَ أحمدُ: ثُمَّ يتوضَّأ فيه؛ فَإِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ». (د(٢٧) واللفظ له، جه (٣٠٤)، حم (٥٦/١) (٢٠٥٨٨) وهو حديث حسن صحيح).

٢٦٣٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً حَتَّى يُفْرَغَ مِنْهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، فَإِنْ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَغَ مِنْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ». (ن(٤/٥٥) وهو حديث حسن صحيح).

٢٦٣٣- عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ». (ت (٣٣٨٨) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح غريب، د(٥٠٨٨)، جه (٣٨٦٩)، ابن السني (٤٤)).

٢٦٣٤- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إذا فرغ مِنْ دفنِ الميتِ وَقَفَ عَلَيه فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ». (د (٣٢٢١)، وهو حديث حسن صحيح).

٢٦٣٥- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهني رَضِيَ اللَّهُ عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ». (ن(٥/٨٠)، وهو حديث حسن صحيح).

٢٦٣٦- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةِ الْجَبَلِ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ؛ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ». (ن(٢/٢٠) وهو حديث صحيح).

٢٦٣٧- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، قَالَ عُقْبَةُ: فَأَمَّنَا بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ». (ن (٩٢٥) وهذا حديث حسن صحيح).

«أَمَّنَا بهمَا» ليبين بذلك أنهما عظيمتان تقومان مقام سورتين عظيمتين، كما هو المعتاد في صلاة الفجر.

٢٦٣٨- عَنْ عَلِيِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ». (ت (٣٧٤٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح. و«الحَوَارِيُّ»: هو الناصر. قاله سفيان بن عيينة، ونقله الترمذي).

٢٦٣٩- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ». (د(١٤١٦)، ن(٣/٢٢٨)، جه (١١٦٩)، وهذا حديث حسن صحيح).

٢٦٤٠- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَنْبَسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ». (ت (٣٥٧٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه).

تقي الدين الهلالي يرد على القبوريين

بقلم: الدكتور:
محمد تقي الدين الهلالي
-رحمه الله-

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدًى وذكرى لأولي الألباب؛ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين الذي أرسله الله رحمة للعالمين، هاديًا ومبشرًا للمؤمنين، وأوحى إليه أن يتبع ملة إبراهيم حنيفًا، وما كان من المشركين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعدُ:

فقد سألتني أيها الأخ الكريم والصديق الحميم أن أجمع رسالة تشتمل على نبذة كافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فيما يتعلق ببناء القباب والمساجد على قبور الصالحين وغير الصالحين، وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من النهي والتحذير والوعيد الشديد لمن فعل ذلك، لعل الله أن يفتح بها آذانًا صمًا وعيونًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وأن ينفع بها المسلمين عامة، وإخواننا أهل المغرب خاصة، فإنهم قوم عندهم إيمان وتدين وشجاعة، ولكن الجهل قد فتك بهم فتكًا ذريعًا، ومهّد السبيل للمضلين الذين يطلبون المال والجاه والإمامة، والملك بالدين والعلم، ويخدعون ضعفاء العقول بما يزخرفون لهم من الأقوال والأشكال، فيستعبدونهم ويسلبون أموالهم وعقولهم وأديانهم، ويستعملون لذلك حيلاً ووسائل كثيرة يوقعونهم بها في حبائلهم.

وقد تلقيت اقتراحك بالقبول، وسطرت هذه الكلمات لعلها تكون تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، وإرشادًا لكل ضال، وشفاء لكل جاهل، ومن لم يجعل الله له نورًا، فما له من نور، ولا يخفى على أَلْمَعِيَّتِكَ أن أهل المغرب كانوا على صراط مستقيم في عقائدهم وعباداتهم، إلى أن غزتهم العقائد الكلامية المبتدعة في القرن الخامس وما بعده، فصدتهم عن سواء السبيل، ثم نشأ فيهم الغلو في الصالحين وفي قبورهم في زمان بني مرين، ففتح لهم باب جديد من الضلال والشقاء، وعمت هاتان البدعتان علماءهم وعقلاءهم، وفُتنوا بهما فتنة عظيمة، إلا من رحم ربك، وقليل ما هم، ولم يخلُ المغرب في تلك الأزمنة كلها من علماء محققين مخلصين لله ناصحين لعباد الله، ولكنهم لقلتهم خفي أمرهم على أكثر الناس، وكان لهم ظهور في الجملة إلى زمان السلطان الإمام سليمان العلوي رحمه الله رحمة واسعة، وهو من هؤلاء المصلحين، ورسالته المدرجة في كتاب الاستقصاء التي وجهها إلى علماء الأمة وخطبائها وواعظيها وعامتها، وأمر أن تتلى على المنابر، لا تبقي أدنى ريب فيما ذكرنا، والذي يناسب موضوعنا هذا هو الكلام في فتنة القبور.

وقد انتشرت هذه الفتنة انتشارًا عظيمًا منذ عهد بني مرين في المدن والقرى، وحتى في البادية، وكثر اجتماع الجهال عندها واتخاذها أعيادًا يحجون إليها، وينذرون لها النذور، ويذبحون لها الذبائح، ويقربون لها القرابين، فصار لكل بلد - وإن صغر - طائفة من القباب والأضرحة، لا يحصى عددها، وشاعت عبادة المدفونين فيها بالطواف والتقبيل والتمسح، والركوع والتعلق بالأستار، والتمرغ والبكاء والتضرع والخوف والرجاء والتوكل، والمحبة البدعية الشركية، وقد بالغ السدنة والمنتسبون إلى من بنيت عليه تلك القباب، إما ببنوة صادقة أو كاذبة، أو بكونهم عبيدًا أو خدامًا لهم، أو بأنهم أول من بنى ذلك المقام، إلى غير ذلك، بالغ هؤلاء في زخرفتها بنصب التوابيت وسترها



بستور الحرير، وأحيانًا يجعلون عليها شاخصًا عليه عمامة وبرنس، وهذا هو الصنم بعينه، فالتابوت والقبة وثن، والشاخص صنم، ويزينون أرضها وجدرانها وسقفها بالنقوش، وإيقاد الثريات الملونة الجميلة، وتعليق أنواع المصابيح والتحف، وفرش أرضها بالزرابي (السجاجيد)، وإيقاد الأنوار، وكثرة البخور والطيب، مما زاد على زخرفة كنائس النصارى، وكل ذلك مما يملأ قلوب الجهال روعة وعظمة وخوفًا، ويزيد السدنة على ذلك بأكاذيب يلفقونها على أنها كرامة لصاحب الضريح، فيتخذها الجهال قضايا مسلمة، وتصبح عندهم عقائد ثابتة يؤمنون بها أكثر من إيمانهم بالله ورسوله.

ومنذ كثرت هذه القباب وعبادها ومواسمها وأعيادها، كثر الفساد باختلاط الرجال والنساء في تلك الأعياد، وظهرت الفواحش، فازداد القوم فتنة على فتنتهم وضلالات على ضلالتهم، وصار من بقي فيه بقية إخلاص وتقوى من العلماء لا يتجرءون على إعلان الإنكار، وإنما يهمسون به همسًا لبعض أصحابهم، أو يودعونه كتبهم، ومنذ ذلك العهد ضعف أمر الجهاد، وأخذ العدو يجتاح أرض المسلمين بلدًا بلدًا، وكلما ازدادوا عبادة للقبور، وغلوًا فيها، واستغاثة بأهلها توالت عليهم الهزائم وخارت منهم العزائم، حتى صاروا عبيدًا أرقاء لأعدائهم، ولم تبق لهم دنيا ولا دين، فصاروا يمنون أنفسهم «يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا» (النساء:١٢٠)، وصارت شياطينهم تسليهم إذا ضربهم شباب الأوروبيين بالنعال على القذال (جماع مؤخر الرأس)، تقول لهم: لا بأس، كلوا هذه النعال واصبروا فالأولياء راضون عنكم، فإنكم مخلصون في خدمتهم تلهجون بأسمائهم في الليل والنهار، وفي القيام والقعود، وجزاؤكم الجنة في الدار الآخرة، وقد اتفق الأولياء على أن يهبوا أرض المسلمين وحكمها والتصرف فيها للأوربيين، وما أراده الأولياء لا يُرَدّ، فاصبروا حتى يأتي صاحب الوقت فهو الذي يرفع عنكم هذا المقت، وحينئذ تسيل مدافعهم بالماء وتخر طائراتهم من السماء، فقبَّح الله عقولاً يبلغ بها السخف ويطمع فيها الشيطان إلى هذا الحد.

أما قرءوا قوله تعالى: «وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا» (الإسراء:٧٢)، وقوله تعالى: «إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد:٧)، وقوله تعالى: «إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ» (آل عمران:١٦٠)، وقوله تعالى في السورة نفسها: «وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (آل عمران:١٣٩)، وقوله تعالى: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ» (غافر:٥١).

فمن خذله الله في الدنيا وجعله أسفل سافلين وأذل الأذلين، ومنعه النصر والعزة والغلبة والخلافة في شيء من الأرض، ولو في عقر داره، كيف يكون من أولياء الله الصالحين، بل كيف يكون من المؤمنين؟! وقد صرَّح القرآن بنفي الإيمان عنه: «إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ» (النساء:٩٨، ٩٩)، ألم تروا ما جرى عليكم في زمان حكومة «بيتان» (الذي كان يحكم فرنسا بعد هزيمتها الساحقة من الألمان أيام الحرب العالمية الأخيرة)، فكان الألمانيون يحكمون في شرذمة الفرنسيين القاطنين في المغرب ويستعبدونهم ويستخدمونهم، تلك الشرذمة من الفرنسيين تحكم

فيكم وتذيقكم صنوف العذاب، فهل كنتم في ذلك الوقت من أولياء الله، ومن أهل الجنة والكرامة عند الله؟! وهل كان الأولياء والقطب الذي تدعون وجوده راضين بحالكم، وقد سخط الله عليكم، ومنعكم ثمرة الإيمان؛ لأنكم لستم بمؤمنين، ومن سخط الله عليه فلا يرضى عنه إلا الشيطان، أما أولياء الرحمن فإنكم تتبرءون منهم، كما قال الله تعالى: «إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ» (البقرة:١٦٦).

ومن الغريب أن عقيدة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان في مسألة البناء على القبور بقي لها وجود ورواية يرويها الآخر عن الأول في بعض بلاد المغرب إلى زماننا هذا، فمن ذلك ما يرويه العامة عن العامة في قبر الشيخ عبد السلام بن مشيش الإدريسي، فإن الناس لا يزالون يروون عنه عامة عن عامة أنه لا يحب البناء على قبره، وتعظيم أهل المغرب كلهم له لا يختلف في ذلك اثنان، ملوكهم وعلماؤهم، ولم يتجرأ أحد على مخالفة هذه الرواية، ولم تُبنَ عليه قبة ولا شيء، وهي حجة عليهم لو كانوا يعقلون، وكذلك ما يروى عن جدنا عبد القادر بن هلال الحسيني، المدفون عند سور قريته بالغرفة من (سجلماسة)، فمع ما تواتر في تلك البلاد من صلاحه وولايته وتعظيم الناس له في حياته وبعد موته، ولا يزال قبره إلى الآن من المزارات المشهورة، ولم تبن عليه قبة؛ لرواية العامة عن العامة عنه أنه لا يحب البناء على القبور، وكذلك الشيخ عبد العزيز المغراوي المدفون في مقبرة بالقرب منه لم تبن عليه قبة؛ لما استقر عند العامة أنه لا يحب البناء على القبور، وليس مقصودنا بذكر هذه الروايات الاستدلال بها على تحريم البناء على القبور، ولكننا سقناها للعبرة، وفيما يأتي من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم غُنْيَة وكفاية لقوم يؤمنون.

ومن هذه الأحاديث:

١- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ



الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ؛ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ». (متفق عليه) فهل يرضى عاقل أن يكون من شرار الخلق عند الله ؟؟.

٢- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد، قَالَتْ: وَلَوْلاَ ذَلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». (متفق عليه) أفترضى أن تكون من الملعونين ؟!.

٣- عن جُنْدَب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ؛ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» (مسلم ٥٣٢) أفيسوغ لمسلم أن يخالف نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! .

٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْأَرْضُ كُلُّهَا

مَسْجِدٌ إِلاَّ الْحَمَّامَ وَالْمَقْبُرَةَ» (أبو داود ٤٩٢ وصححه الألباني).

٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُم السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» (مسند أحمد ٣٨٤٤ وحسنه الألباني).

واعلم أنني قصدت بهذه الكلمة نصيحة لإخواني، ثم أبناء وطني، ولم أقصد بها التبجح والتصنيف، والله يوفقنا جميعًا في القول والعمل.

ثم اعلم أننا لا نريد بهذا إلقاء الفتنة بين الناس، ولا الطعن في أحد من أهل القبلة، كيف ونحن الآن في أشد الحاجة إلى التعاون مع كل من ينتسب إلى الإسلام، بل مع كل من يسالم الإسلام، لكثرة أعدائه، وقلة أوليائه في هذا الزمان، ولكننا نعلم يقينًا أن من النصح للمسلمين السعي في تطهير عقائدهم توجيههم إلى اتباع القرآن والرسول والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فإن ما وعد الله به المسلمين من النصر والسعادة لا يتحقق بكثرة العدد، بل بتحقق التوحيد والاتباع، كما قال تعالى: «كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ» (البقرة:٢٤٩)، وقال تعالى: «قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ» (المائدة:١٠٠)، ونحن معترفون بأن الدعوة إلى الحق يجب أن تكون بالتي هي أحسن قولاً ونية، ولا تساء النية والقول إلا لمن ظهر عناده وإعراضه وصدوده عن الحق بعدما تبين له لغرض دنيوي حقير، وهذا أيضًا لا ينبغي أن يوصف بأكثر مما وصف الله في كتابه والرسول في حديثه.

وإذا حسنت نية المخالف في غير التوحيد واتباع الرسول، فإننا نتعاون معه فيما اتفقنا من الحق، ونرجو أن يهديه الله لما خفي عليه منه، وفي الصحيح مرفوعًا: «يَسِّروا ولا تعسِّروا، وبشروا ولا تنفروا» (البخاري ٦٩)، والله يهدي إلى صراط مستقيم.

بطلان الاحتجاج بهيئة مسجد الرسول على صحة اتخاذ المساجد على القبور

اعلم أن كثيرًا ممن زين لهم سوء عملهم، فاتخذوا المساجد على القبور وعصوا الرسول صلى الله عليه وسلم يعمدون إلى المغالطة والمواربة فيحتجون على جواز اتخاذ المساجد على القبور بكون الحجرة الشريفة التي دُفن بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحباه قد أُدخلت في جانب المسجد في زمان بعض الصحابة والتابعين، ولم ينكر أحد ذلك فصار كالإجماع، وهذا الاحتجاج مردود من وجوه:

الأول: إذا سلمنا أن هذه الصورة التي صار إليها جانب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، هي ما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأجمعت الأمة على عدم جوازه، حسبما سبق في هذا الجزء، يكون هناك إجماعان متناقضان؛ أحدهما مبني على نصوص صحيحة صريحة لا تقبل التأويل، وقد صرح بمنعه علماء جميع الطوائف والمذاهب، والآخر إجماع سكوتي مبني على غير دليل، فأيهما أحق بالترجيح، الإجماع الذي صرح بمنطوقه الصحابة والتابعون وتابعوهم إلى يومنا هذا، أم الإجماع الذي لم يصرح بمنطوقه أحد، وليس له دليل أصلا؟ لا شك أن الأول أرجح، وأن الثاني مبني على شفا جرف هار.

الثاني: أن الإجماع السكوتي ليس بحجة عند أكثر الأئمة، وقد بسط القول فيه علماء الأصول في كتبهم فراجعها، وهذا يبطل ما احتجوا به ويقضي عليه قضاء تامًا.

الثالث: أن ادعاء الإجماع السكوتي هنا باطل؛ لأن كل من روى أحاديث النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، وكل من حكم بكراهة الصلاة عندها يخالف في هذه المسألة خلافًا صريحًا، فبطل بذلك ادعاء الإجماع السكوتي.

الرابع: قد تقدم عن الأئمة أن الذي أدخل حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها التي تتضمن قبر النبي صلى الله عليه وسلم، إنما هو ملك غشوم، ليس أهلاً أن يقتدى به في أمور الشرع، ولا كرامة، ولو لم يخالف نصًا ولا إجماعًا، فكيف وقد خالف النص الصحيح الصريح، فعمله هذا محرم ومخالف لسيرة الخلفاء الراشدين، فكيف يكون عمل مثل هذا الملك حجة على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ونصوص العلماء، فتُجعل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة الواردة في هذا الباب كلها منسوخة بفعل ملك ظالم!! قد ضللنا إذن

وما نحن من المهتدين.

الخامس: لم يُدخل الوليد بن عبد الملك حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وحجرة ابنته فاطمة رضي الله عنها، بقصد توسيع المسجد ابتغاء وجه الله واتباعًا لمرضاته، بل فعل ذلك بقصد سيئ، هو حب العلو والفساد، فقد نقل صاحب إتمام الوفا بأخبار دار المصطفى، أن الوليد بن عبد الملك كان يخطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم، فرأى الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، في بيت فاطمة ينظر في مرآة، فأنف لذلك وغضب؛ لأنه رأى الحسين سبط النبي صلى الله عليه وسلم في بيت جدته رضي الله عنها المفتوح بابه إلى مسجد جده، صلوات الله وسلامه عليه، فأصابه المقيم المقعد من الحسن، لأن أهل المسجد ولا شك أنهم كانوا يعتقدون أن الحسين أولى بذلك المنبر منه.

ثم نعود إلى معنى كلام صاحب إتمام الوفا قال: فلما نزل الوليد بن عبد الملك من المنبر، دعا عامله عمر بن عبد العزيز الأموي، ولم يكن في ذلك الوقت من الصلاح والتقوى كما كان حين تولى الخلافة، فأمره بهدم جميع الحجرات التي كانت حول مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: لا أرى شيئًا من هذه الحجرات يبقى هاهنا، فاهدمها وأدخلها المسجد.

السادس: أن الصحابة والتابعين لم يرضوا بهذا العمل، ولا سكتوا عليه، فإن عمر بن عبد العزيز حين أراد الإقدام على هذا العمل جاءه الإمام محمد بن شهاب الزهري فنهاه عن ذلك وأخبره أنه لا يرضى أهل المدينة بهذا العمل من علماء الصحابة والتابعين، فأبى عمر وقال له: أمر أمير المؤمنين لا بد من تنفيذه، ولم يقل له: إن هذا الأمر فيه إصلاح وخير وتقرب إلى الله، فلما أبى عليه قال: إن كان ولا بد فاجعل حول الحجرة جؤجؤًا، أي بناءً مثلثًا حتى لا تمكن الجهال من الصلاة تجاه القبر، فقبل منه ذلك، وقد تقدمت الإشارة إليه، وكان من جملة حجرات النبي صلى الله عليه وسلم حجرة حفصة بنت عمر زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يسكن فيها عبيد الله بن عمر، فلما أرادوا أن يهدموها امتنع من الخروج، وقال: والله لا تهدمونها إلا على رأسي، فبقي فيها حتى أخذ العملة يهدمونها، فجاءه بنو عدي عشيرته وأخرجوه وقالوا له: أتراهم يتعففون عن قتلك، قال السمهودي: قال راوي هذا الحديث: فما رأيت أكثر من ذلك اليوم باكيًا، يعني أن الناس بكوا بكاءً شديدًا لهذا العدوان الجديد وانتهاك حرمات بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يقال: إن الصحابة والتابعين رضوا بهذا العمل وسكتوا عليه، ثم ينقل ذلك إلى الاحتجاج بسكوتهم!!

السابع: أن الوليد بن عبد الملك جلب البنائين المهرة والنقاشين والمزخرفين من بلاد الروم، وخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين، فزخرف المسجد النبوي ونمّقه بالفسيفساء والذهب، وهو أول من زخرف المساجد في هذه الأمة، وسن هذه السنة السيئة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أمرت بتشييد المساجد». قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى. (أبو داود ٤٤٨ وصححه الألباني).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد». (أبو داود ٤٤٨ وصححه الألباني).. وقال البخاري: قال أبو سعيد: كان سقف المسجد من جريد النخل، فأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أَكِنَّ الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فيفتتن الناس.

الثامن: أن الأصل الإسلامي العظيم الذي أجمع عليه المسلمون، ونطق به القرآن والحديث وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ولا ينسخ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بحديث مثله أو أصح منه مع معرفة تاريخ الحديث.

وقد علمت أن الأحاديث كلها بخلاف ما زعمه أهل هذه الشبهة ناطقة يعضدها إجماع الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وليس مع هؤلاء المدعين دليل أصلاً، لا صحيح ولا ضعيف.

وفي هذا القدر ما يكفي في دحض شبهتهم. والله الموفق.

من الآداب الإسلامية

آداب حرية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعدُ:

فقد سبق الحديث عن كيفية تحقيق الشورى في اللقاء السابق، وفي هذا اللقاء نبين:

٤- حدود حرية الرأي:

إن القرآن الكريم له أحكامه الواضحة التي توجب الأخذ بنظام الشورى، وتوجب تساوي جميع الناس في جميع الحقوق؛ لأن قيام الحاكم بمشاورة أهل الحل والعقد لا يعني أن غيرهم من أفراد الشعب لا حق لهم في إبداء آرائهم.

فالواقع أن لكل فرد أن يبدي رأيه فيما يرى فيه المصلحة، أو إزالة مفسدة، وأساس ذلك أن الله تعالى كلّف كل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل جعل القيام بهذا التكليف من صفات المؤمنين، قال الله تعالى: « وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ » (سورة التوبة:٧١).

وقال سبحانه في حق الأمة: « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ المفلحون ﴿١٠٤﴾» (آل عمران:١٠٤).

وقال الله عز جل: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ » (آل عمران:١١٠)، وقال عز من قائل: « ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ » (الحج:٤١).

وقال تبارك اسمه: « ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (سورة التوبة:١١٢).

وفي وصية لقمان: « يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ » (لقمان:١٧).

وروى الأئمة مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم أن الله قال: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (مسلم ٤٩).

ومن مجمل هذه النصوص وغيرها يتضح لنا:

- أن خيرية هذه الأمة وفلاحها مرهون بقيامها بحق هذه الفريضة؛ لأنها من عزم الأمور، وهي سمة أساسية من سمات المؤمنين العابدين، بل إنها قدمت على الإيمان الذي تنبني عليه كل الأعمال: «تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ » (آل عمران:١١٠) تنويهًا بفضلها وشرفها.

ويكفي أن الرسول صلى الله عليه وسلم وُسمَ بها في الكتب السابقة: « ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ » (الأعراف:١٥٧).

وعلى العكس من ذلك نجد التخلي عن القيام بهذه الفريضة، يجلب لعنة الله وسخطه: «وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ » (المائدة:٧٨).

والتخلي عنه أمارة قوية من أمارات النفاق الذي يستوجب إهمال الله للعبد، قال الله تعالى: « ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ

الرأي والتعبير (٤)

إعداد/ سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (سورة التوبة:٦٧).

ومن هنا أجمعت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والقيام بهذا الواجب يستلزم تمتع الفرد بحق إبداء رأيه بالمعروف الذي يأمر به وبالمنكر الذي يريد تغييره، وهذا الحق للأفراد متمم للشورى، ومساعد لها، ويتفق مع أهدافها.

لأن به يُعان الحاكم على معرفة الصواب وتجنب الخطأ، فقد يفوت أهل الشورى بعض الأمور التي يعرفها غيرهم من أفراد الأمة.

وعلى هذا لا يجوز للحاكم أو لغيره من أولياء الأمور الانتقاص من هذا الحق للأفراد، كما لا يجوز للأفراد التنازل عنه أو تعطيله؛ لأنه حق أُوتوه من الشرع ليتمكنوا من أداء ما افترض عليهم من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولهذا كان الحكام الصالحون يربون أفراد الأمة على حرية الرأي والتعبير، ويحثونهم على هذه الصفة، ويعيبونهم على تركها.

وفي خطبة أبي بكر رضي الله عنه: «فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني». (راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٨٣).

وقال رجل للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اتق الله يا عمر. فقال له: ألا فلتقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها.

وعليه فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضٌ حتمٌ على كل مسلم، وأن الناس إذا أهملوا هذه الفريضة غدوا متفرقين لا جامعة لهم، ولكن الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف لها مراتب:

أولها: دعوة هذه الأمة سائر الأمم إلى الخير، يعني الإسلام، وهو مطلوب من الأمة جميعها - على حسب الاستطاعة - بحكم أنها خير أُمة أُخرجت للناس، والقائمون بهذا يجب أن يكونوا علماء، قال الله تعالى: « قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (يوسف:١٠٨).

ثانيها: دعوة المسلمين بعضهم بعضًا، ولها طريقان:

- دعوة كلية عامة: لبيان طريق الخير للناس، ويقوم بها العلماء العارفون بأسرار الشريعة.
- ودعوة جزئية خاصة: وهي ما تكون بين الأفراد بعضهم مع بعض، يأمرون بعضهم بالخير، ويحذرون من الشر.

وكل واحد يأخذ من الفريضة العامة بقدره، وهذه الدعوة يستوي فيها العالم والجاهل.

فهذه الأمة عليها مهمة الأخذ على يد الظالم، وتقويم عوج الحكومة، والنظر في تعليم الجاهلين من المسلمين، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ومهمة العلم، وطرق إفادته ونشره، وأمور العامة الشخصية، والأمور العامة التي هي من شأن الحكام؛ لأن الدعوة إلى الخير تشمل كل أمر نافع في الدنيا أو في الآخرة، كتنظيم الاقتصاد، وترتيب العمران، وتنظيم حقوق الفقراء، وربط العلاقة بين الأغنياء والفقراء، وإنشاء المساجد، ودور التعليم، وتوجيهها التوجيه السليم، أي أن الدعوة إلى الخير تشتمل على كل ما يقوم عليه بناء الاجتماع من الناحية المادية والأدبية، والإسلام يهدف من وراء كل ذلك إلى تكوين رأي عام مراقب، ينهض بالمجتمع ويتبنى قضاياه، ويوجه السلوك العام، ويراقب ويحاسب ذوي السلطان فيه، هذا فضلاً عن مقاومة المنكر وتغييره، ودفع الظلم والاعتداء، وتبني قضايا حقوق الإنسان.

فالرقابة التي يمارسها المسلم من خلال فريضة

الأمر والنهي، تتيح له قدرًا عاليًا من ممارسة حرية الرأي والنقد، سواء من خلال سلطته هو كفرد، أم من خلال الهيئة المنظمة المنتخبة، بل إن هذه الهيئة نفسها تخضع للمراقبة والمحاسبة والنقد من قبل المسلمين، وبذا يتحول المجتمع كله إلى هيئة رقابة على نفسه بممارسته هذه الفريضة.

وعليه يتضح لنا أن مسئولية تغيير المنكر مسئولية تضامنية بين أفراد المجتمع جميعًا، ولكل دوره في هذا التغيير حسب درجات المنكر وسلطة المغيِّر، كما دل على ذلك حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

فالحديث ذكر ثلاث مراتب لتغيير المنكر، ولا ينتقل من مرتبة إلى التي هي أدنى إلا في حال العجز عن تحقيق التغيير بالأعلى.



وأعلى هذه المراتب: «التغيير باليد»، وهي ترمز إلى القوة، مادية كانت أو معنوية، والقوة سلطة، ولكن يفهم من الحديث أنها غير مستطاعة لكل إنسان كل الوقت، ومع كل صاحب سلطة، وإنما تكون غالبًا لكل ذي سلطان في دائرة سلطانه، فالأب له سلطة على أولاده، والزوج على زوجته، والأمير على رعيته، والرئيس على مرؤوسيه، والعالم على العامة... إلخ. كل في حدود ما وَلِيَ، وأذن له فيه الشرع.

ولكن ليس للسلطان أن يصادر حريات الناس، أو يكمم أفواههم، أو يتسلط على حرياتهم الشخصية، إلا بما يمس الأمر العام، والمصالح العليا للدولة، وليست لمصلحته الشخصية التي تتعلق باستقرار الملك له.

وجماعة العلماء سلطتهم في تغيير المنكر غالبًا، سلطة معنوية بما لهم من مهابة ووقار في قلوب الناس، وليست لهم ولا لغيرهم سلطة تنفيذ العقوبات؛ لأن ذلك مما يثير الفوضى والاضطراب في المجتمع، ويؤدي إلى مفاسد كثيرة.

فالعلماء ينصحون العامة ويرشدونهم ويوجهونهم، وكذا ينصح بعضهم بعضًا، إن رأوا شططًا من أحدهم نصحوه وحاوروه وجادلوه حتى يرجعوا به إلى الصواب.

ولهم مع الحكام واجب النصح والإرشاد والمعارضة إن اقتضى الأمر مهما ازداد طغيان الحاكم واشتدت ضراوته، ولقد عد ذلك من الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (أبو داود ٤٣٤٤ وصححه الألباني). ففريضة الأمر والنهي هي ما يعبر عنه الفكر السياسي الغربي حديثًا - المعارضة السياسية - ولكنها تربو عليها في أنها لا تقتصر على أمور السياسة فقط، وليس الهدف منها هو الجانب السلبي المتمثل في المعارضة السياسية، والحد من سلطة الحاكم ونقده ومعارضته، ولكنها فريضة تهدف إلى تكوين رأي عام مراقب، ينهض بالمجتمع ويتبنى قضاياه، ويراقب وينصح، ويهيمن على القيم والمثل العليا، ويتبنى قضايا حقوق الإنسان.. إلخ.

وهذا الحق له حدود وضوابط منها:

١- أن يكون قصد صاحبه بذل النصح الخالص للحاكم؛ لحديث: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم». (مسلم ٥٥).

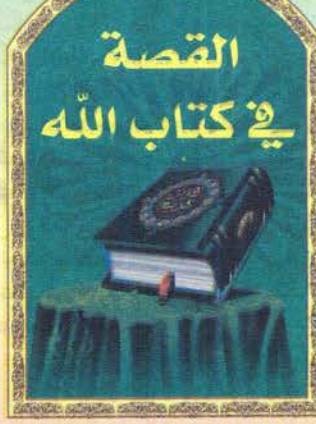
فلا يجوز أن يكون القصدُ التشهيرَ بالحكام أو تكبير سيئاتهم أو انتقاصهم.. إلخ.

٢- أن يكون بيان المسلم لرأيه في تصرفات الحكام على أساس من العلم والفقه، فلا يجوز أن ينكر عليهم في الأمور الاجتهادية؛ لأن رأيه ليس أولى من رأيهم ما دام الأمر اجتهادًا.

٣- لا يجوز للأفراد إحداث الفتنة ومقاتلة المخالفين لهم بالرأي إذا لم يأخذوا برأيهم ما دام الأمر يحتمل رأيهم ورأي غيرهم. وللحديث بقية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

القصة في كتاب الله



أصحاب الكهف

٤

«سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ»

إعداد/ عبدالرزاق السيد عيد

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، والصلاة والسلام على نبي الهدى ورحمة الله للبشر محمد بن عبد الله سيد ولد آدم ولا فخر، وعلى آله وأصحابه الكرام البررة.

وبعدُ: أخي الكريم: وقفنا في لقائنا السابق مع الذين عثروا على أصحاب الكهف من المعاصرين لهم، ثم اختلفوا في طريقة تكريمهم، بعد أن أطلعهم الله على كرامتهم، وكيف أنه سبحانه يتولى عباده الصالحين بالنصر والحفظ والتثبيت في الدنيا والآخرة، ورأينا كيف جعل الله في قصتهم آية على حقيقة البعث والنشور.

أولاً: الاختلاف في العدد واليوم:

نقف على اختلاف من نوع آخر نطالعه في الآيات الكريمة التالية، قال الله تعالى: « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا » (الكهف:٢٢).

أ- قوله تعالى: «سيقولون»:

قال الإمام القرطبي: «الضمير في «سيقولون» يُرادُ به أهل التوراة ومعاصرو محمد صلى الله عليه وسلم». اهـ.

وقال العلامة ابن عاشور - رحمه الله -: «لما شاعت قصة أهل الكهف حين نزل بها القرآن، صارت حديث النوادي، فكانت مثار تخرّصات في معرفة عددهم، وحصر مدة مكثهم في كهفهم، وربما أملى عليهم المتنصِّرة من العرب في ذلك قصصًا، وقد نبههم القرآن إلى ذلك وأبهم على عموم الناس الإعلام بذلك لحكمة، وهي أن تتعود الأمة ترك الاشتغال فيما ليس منه فائدة للدين أو الناس». اهـ.

وعلى العموم قوله تعالى: «سيقولون» وإشعار المضارع بالسين يدل على أن الناس سيخوضون في هذا الموضوع قديمًا وحديثًا من قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمننا هذا وبعده، وسيسألون عن اسم كلبهم وعن لونه، وغير ذلك من الأمور التي لا طائل منها في دين ولا دنيا، لذا حسم الله القضية فقال تعالى: «قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ » حسمًا للنزاع، وإرشادًا لنا حتى نترك الخوض فيما لا فائدة مرجوحة منه.

ب- هل أخبر القرآن بعدتهم؟

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: أخبر القرآن الكريم عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال، فدل على أنه لا قائل برابع، ولما ضعَّف القولين بقوله: «رجمًا بالغيب» أي قول بلا علم كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد.

القصة في كتاب الله

إن تأخَر الوحي وتأخرَ إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك يدل على صدقه؛ لأنه لو كان كاذبًا لصنع قصة فيما بين ليلة وضحاها، وقال هذه قصتهم إذن فتأخر الوحي وانتظار النبي يدل على كمال صدقه صلى الله عليه وسلم

ثم حكى القول الثالث وسكت عنه أو قرره بقوله: «وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» (الكهف:٢٢)، فدل على صحته، وأنه هو الواقع في نفس الأمر، وقوله: «قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم» (الكهف:٢٢) إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى. انتهى كلام الإمام ابن كثير.

وهو يؤكد أن عدد أصحاب الكهف كانوا سبعة استنباطًا من فهمه لأسلوب القرآن حين ضعَّف قول القائلين بأنهم ثلاثة ورابعهم كلبهم، وكذلك الذين قالوا إنهم خمسة وسادسهم كلبهم، بقوله تعالى: «رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ» (الكهف:٢٢) واصفًا القولين السابقين، بينما سكت عن القول الثالث القائل: إنهم سبعة وثامنهم كلبهم، فكأن القرآن الكريم أقرَّ هذا القول، وابن كثير - رحمه الله - ينتصر لهذا القول بتصحيح سند رواية منقولة عن عكرمة عن ابن عباس، حيث ذكر ابن عباس عدتهم سبعة، وقال عن نفسه: إنه من القليل الذي أشار الله إليه في قوله تعالى: «مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ» (الكهف:٢٢)، وكذلك رجح قول ابن عباس وابن كثير جمعٌ من العلماء المعاصرين مثل الشيخ السعدي وابن عثيمين وغيرهما والقدامى مثل القرطبي.

ثانيًا: توجيهات للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته:

أ- أرشد الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه إلى إسناد العلم لله فيما لم يأتهم به علم من الله، وحذرهم من الاستماع للخائضين في ذلك بغير علم من أهل الكتاب ومن غيرهم.

قال تعالى: «قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا» (الكهف:٢٢).

يقول الله تعالى لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: قد جاءك الله بالحق في شأن هؤلاء الفتية فلا تجادل في شأنهم أحدًا من أهل الكتاب ولا من غيرهم، وقل ربي أعلم بعدتهم فهو سبحانه الذي يعلم الحق ويخبر به وكل علم يأتي من غير هذا الطريق فهو من الرجم بالغيب من غير استناد إلى كلام معصوم، وقد كفيناك ذلك بالحق الذي أرشدناك إليه، ففيه غنية عن كل ما سواه.

ب- قال تعالى: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا» (الكهف:٢٣).

وهذا توجيه آخر وأدبٌ أدَّبَ الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن أسئلة فيها سؤال عن أهل الكهف، فقال لمن سأله: سأخبركم به غدًا، ولم يقدِّم المشيئة فتأخر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم مدة ذكر بعض العلماء أنها خمسة عشر يومًا، ثم نزل الوحي بالخبر ثم العتاب، قال العلامة ابن عاشور هنا كلامًا جيدًا، نذكره فيما يلي: «قد جمعت هذه الآية كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم من ثلاث جهات: الأولى: أنه أجاب سؤله، فبين لهم ما سألوه إياه على خلاف عادة الله مع المتكبرين».

الثانية: أنه علَّمه أدبًا عظيمًا من أدب النبوة.

الثالثة: أنه ما علمه ذلك إلا بعد أن أجاب سؤاله استئناسًا لنفسه أن لا يبادره بالنهي عن ذلك قبل أن يجيبه، كيلا يتوهم أن ذلك يقتضي الإعراض عن إجابة سؤاله، وكذلك شأن تأديب الحبيب المكرم، ثم ذكر لنا الشيخ رحمه الله مثالًا من تعامل النبي صلى الله عليه وسلم انطلاقًا من هذا الأدب، فقال: «ومثاله من الصحيح: أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم إن هذا المال خضرة حُلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى». قال حكيم: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا» (متفق عليه). فعلم حكيم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنعه من سؤاله، ولكن يؤدبه بأدب حسن. اهـ.

وقد صدق حكيم فيما عزم عليه فلم يسأل أحدًا شيئًا بعد رسول الله حتى فارق الدنيا، وهذه صورة مضيئة من أدب النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إن تأخَر

الوحي وتأخرَ إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك يدل على صدقه؛ لأنه لو كان كاذبًا لصنع قصة فيما بين ليلة وضحاها، وقال هذه قصتهم إذن فتأخر الوحي وانتظار النبي يدل على كمال صدقه صلى الله عليه وسلم». اهـ.

جـ- وهناك توجيه ثالث في قوله تعالى: «وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا» (الكهف:٢٤).

يرشد القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عمومًا إلى ذكر الله في كل الأحوال، سواء في الاستثناء إذا نسيه أو يعمُّه ويعمُّ غيره، ويرى ابن القيم – رحمه الله – أن هذا هو الصواب، فالأمر بذكر الله يعم الاستثناء وغيره، و(عسى) هنا بمعنى الرجاء، أي ارجُ ربك أن يهديك إلى الرشد والخير دائمًا في مسألة أهل الكهف، وفي غيرها من المسائل، هذا وقد هدى الله رسوله إلى الحق في كل أموره، وقال سبحانه: «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» (الصف:٩)، فقد جمع الله لرسوله الهداية من أطرافها، فالهدى هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأخبار الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع، ودين الحق هو الأعمال الصالحة النافعة ليكون ذلك منهاجًا للعالمين، والحمد لله رب العالمين.

ثالثًا: مدة لبثهم في الكهف

قال الله تعالى: «وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا (٢٥) قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦)» (الكهف:٢٥).

وهكذا ختم الله قصة أصحاب الكهف ببيان حقيقة لا يعلمها إلا الله، وإن خاض فيها من خاض من أهل الكتاب ومن غيرهم، ألا وهي مدة بقاء الفتية في كهفهم قبل بعثهم الأول أي بقائهم نيامًا قبل أن يعرف أهل قريتهم بأمرهم وهي مدة ثلاث مائة من السنين وتسع سنوات يعني بلغة الحساب (٣٠٩) من السنين.

وهل هذه المدة بالحساب القمري أم هي ثلاث مائة بالتقويم الشمسي وثلاثمائة وتسع بالتقويم القمري؟

يرى العلامة ابن عثيمين أن عدة الشهور عند الله بالأهلة، كما قال تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ» (سورة التوبة:٣٦)، فالحساب عند الله بالأهلة، وضعُف القول الآخر. وهذا إخبار من الله بحقيقة مدة لبثهم بالغار قبل موتهم، وهو سبحانه أعلم بذلك.

وحين يخبر سبحانه بالحقيقة فلا مجال لقول قائل كائنًا من كان.

القصة في كتاب الله

لما كان الله المتفرد بالولاء والتدبير فهو كذلك المتفرد بالحكم؛ لذا قال – سبحانه –: «وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا» (الكهف:٢٦)، وهذا يشمل الحكم الكوني القدري والحكم الديني الشرعي، فهو الحاكم في خلقه قضاءً وقدرًا، وخلقًا وتدبيرًا، والحاكم فيهم بأمره ونهيه وثوابه وعقابه

وقوله تعالى: «أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ» (الكهف:٢٦) تعجيب من كمال سمعه وبصره – سبحانه – وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات بعدما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات، ومن هنا فالله سبحانه هو المتفرد بالولاية «مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ» (السجدة:٤)، فهو سبحانه الولي الذي يدبّر جميع شئون خلقه في كونه المتسع ولاية خاصة وولاية عامة.

وهو سبحانه الذي يتولى عباده الصالحين يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن ذلك ولايته لأصحاب الكهف بلطفه وكرمه ولم يكلهم إلى أحد من خلقه، ولما كان الله المتفرد بالولاء والتدبير فهو كذلك المتفرد بالحكم؛ لذا قال – سبحانه –: «وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا» (الكهف:٢٦)، وهذا يشمل الحكم الكوني القدري والحكم الديني الشرعي، فهو الحاكم في خلقه قضاءً وقدرًا، وخلقًا وتدبيرًا، والحاكم فيهم بأمره ونهيه وثوابه وعقابه؛ لذا وجب اتباع وحيه الذي أوحى به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعدم اللجوء إلى سواه، وبذلك عقب سبحانه على قصة أهل الكهف، فقال عز وجل: «وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا» (الكهف:٢٧)، وهكذا أوصى الله نبيه بالحق وأمر ألا نعبد إلا إياه ولا نحتكم إلا لشرعه، وصدق الله القائل: «إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (يوسف:٤٠).

والحمد لله رب العالمين.

أنصار السنة المحمدية

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد..

فإن جماعة أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها تسعى إلى نشر التوحيد الخالص والذود عن حصون السنة المطهرة، متبعة في ذلك كل سبب يسره الله لها، وقد بدا هذا واضحا في منهج مؤسسي هذه الجماعة الكبار فها هو الإمام محمد حامد الفقي رحمه الله عندما شرع في تأسيس الجماعة أخذ بكل الأسباب الممكنة للتواصل مع الناس ونشر منهج التوحيد وتنقية العقيدة، فقام بتأسيس الجمعية ثم قام بإصدار مجلة الهدي النبوي كوسيلة إعلامية تؤصل منهج الجماعة وتوصله، ولما أعاد الإمام رشاد الشافعي رحمه الله الجماعة مرة أخرى للوجود قام بإصدار مجلة التوحيد المباركة ولم يفرط في أي وسيلة من الوسائل لنشر منهج الجماعة بل لقد أصدر صحيفة نصف شهرية تعالج قضايا الواقع وتواكب الأحداث.

هكذا سار أكابر العلماء على سنة الأنبياء والصالحين كما أخبر سبحانه عن ذي القرنين «وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا» [الكهف: ٨٤ :٨٥]. أخذوا بالوسائل المتاحة في زمنهم لتحقيق البلاغ المبين، ونحن على دربهم نسير، نحاول أن نأخذ بالأسباب والوسائل التي يسرها الله لنا، ومن أجل ذلك دخلت جماعة أنصار السنة المحمدية عالم (الإنترنت) مستخدمة في ذلك طاقات شبابها في التعامل مع أحدث أساليب التواصل الجماهيرية حول العالم؛ وذلك من خلال مجموعة كبيرة من المواقع الرسمية للجماعة ولفروعها، وكذلك المواقع الشخصية لعلماء الجماعة ودعاتها، والصفحات العامة والمنتديات الحوارية والصفحات الرسمية على مواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك وغيرها، كما قامت الجماعة منذ عام تقريبا بتدشين موقعها الرسمي الشامل على شبكة الإنترنت لتتوحد فيه الأعمال وليجمع للجماعة وأبنائها شتات ما بُذلت فيه الجهود، فتم إطلاق الموقع تجريبيا ليكون واجهة إعلامية مشرفة للدعوة عموما وللجمعية وأبنائها خصوصا، لتتواصل من خلال هذا الموقع الرسمي مع العالم، ولقد قام على هذا الموقع مجموعة من أبناء الجماعة الأكفاء، وتم نشر العديد من البيانات الخاصة بالجماعة تعليقاً على الأحداث وبياناً لموقف الجماعة منها، وقامت العديد من الصحف ووسائل الإعلام بنقل هذه البيانات من على هذا الموقع المبارك، جزى الله كل من ساهم فيه خيرا.

وليست هذه هي الخدمة الوحيدة التي يقدمها الموقع، ولكن هناك العديد من الخدمات الأخرى؛ فالموقع بالأساس يصدر عن مركز معلومات مجلة التوحيد بالجماعة، وتوضع عليه كل المعلومات والبيانات الخاصة بالجماعة، فهناك مثلا قسم خاص بفروع الجماعة من خلاله يمكنك التعرف على كل أنشطة الجماعة ومساجدها وعناوينها والقائمين عليها وتفاصيل أخرى كثيرة، بالإضافة إلى أن الموقع يُمكنك من الاطلاع على مشروعات الجماعة، وخطط العمل بها، والجديد بشأنها.

وبإمكانك أيها القارئ الكريم القيام بزيارة الموقع والتعرف على كل ما يحتويه من خدمات ومعلومات قيّمة خاصة المكتبة العلمية لعلماء الجماعة والدروس المتنوعة بل والمباشرة أحيانا من مساجد الجماعة وغير ذلك الكثير.

وهذا الموقع هو الموقع الرسمي الوحيد الذي يمثل جماعة أنصار السنة المحمدية على شبكة الإنترنت، كما أن هناك مواقع جيدة ومتميزة كذلك تمثل بعض الفروع المعتمدة للجماعة على مستوى الجمهورية، وهي تقوم بدورها كذلك في إثراء الساحة الدعوية وخدمة منهج التوحيد الصافي الذي قامت الجماعة على نشره والدفاع عنه، وفيما يلي بيان بعنوان الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمدية، وكذا عناوين مواقع فروعها في جمهورية مصر العربية على شبكة الإنترنت.

ونقدم لك أيها القارئ الكريم هذه المجموعة من المواقع التابعة لجماعة أنصار السنة المحمدية على شبكة الإنترنت كما يجري العمل بإذن الله لإطلاق صفحة لكل فرع تمثله على شبكة الإنترنت؛ وذلك من خلال الموقع الرسمي للجماعة.



على شبكة الإنترنت

إعداد / مركز المعلومات والعلاقات العامة والتطوير بمجلة التوحيد
سامح أحمد أبو الروس

١ - الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمدية.	www.Ansaralsonna.com
٢ - الموقع الرسمي لمسجد التوحيد ببلبيس.	www.Altawhed.net
٣ - الموقع الرسمي لمسجد التوحيد بمدينة العاشر من رمضان.	WWW.Eltawheed10.com
٤- جماعة أنصار السنة المحمدية فرع بنها.	www.Sona-banha.com
٥ - جماعة أنصار السنة المحمدية بأسوان.	www.Sonaaswan.com
٦ - موقع جمعية أنصار السنة المحمدية بالمنصورة.	www.Ansarsunna.org
٧- جمعية أنصار السنة المحمدية بقرية طاهر.	www.Sonna-taher.com
٨- جمعية أنصار السنة فرع أبو كبير.	www.ansar-alsunna.yoo7.com
٩- الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمدية ببورسعيد.	www.ansarsonna.com
١٠- الموقع الرسمي لجمعية أنصار السنة المحمدية بإدفو.	www.sunnahedfu.com
١١- الموقع الرسمي لجمعية أنصار السنة المحمدية بشربين.	www.Elsonnashr.com
١٢- جمعية أنصار السنة المحمدية - بني عبيد.	www.Alansar-bn.com
١٣- موقع أنصار السنة فرع كمشيش.	www.sonakamshesh.com
١٤- الموقع الرسمي لمسجد التوحيد بالمحلة الكبرى.	www.Tawheedm.com
١٥- جماعة أنصار السنة المحمدية فرع ميت حمل.	www.Ansarsonna.net
١٦- مجمع التوحيد - فرع ميت غمر.	www.Altawhed1mg.yoo7.com
١٧- مجلة التوحيد.	www.Altawhed.com
١٨- جمعية الإسلام - فرع طوخ دلكه.	www.Islamguidegroup.com
١٩- موقع سبيل النجاة - فرع الزرقا.	www.Sbeeel.com

وهناك أيضًا العديد من المواقع الأخرى التي تعرض لمنهج الجماعة وتؤصله فمنها مواقع شخصية لعلماء الجماعة حفظهم الله، وكذلك صفحات رسمية للجماعة وفروعها على شبكات التواصل الاجتماعي.

ومن خلال الاستفادة من هذه التقنية الحديثة يمكنك أيها القارئ الكريم متابعة كل ما يخص الجماعة على شبكة الإنترنت؛ حيث سرعة التواصل والتعرف على الأخبار والأحداث، والجديد في الجمعية وفروعها، وقد ناشد علماء الجماعة الكرام شباب الجماعة ودعاتها أن يحرصوا على الأخذ بأساليب العصر، وتعلم ما ينفعهم من الوسائل الحديثة التي تخدم دينهم ودنياهم، فلا تبخل أيها القارئ الكريم على نفسك وخذ هذه الباقة المتكاملة من مواقع أنصار السنة على شبكة الإنترنت، واحرص على متابعتها على الدوام للوقوف على أخبار الجماعة، ومطالعة أخبار العلماء وآرائهم، خاصة في زمن تسارعت فيه الأحداث وكثرت فيه الفتن.

وسوف نواصل بإذن الله جل وعلا نشر كل جديد يتعلق بأخبار الجماعة على شبكة الإنترنت وكذلك نوالي نشر العناوين الخاصة بالجماعة وعلمائها ودعاتها على شبكة الإنترنت كلما تيسر حتى تكتمل الصورة المشرقة للجماعة على الشبكة العالمية، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

حياة الإنسان في اتباع شريعة الرحمن

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» (الأنفال: ٢٤).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ. (سنن أبي داود ٢٤٣٦ وصححه الألباني).

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ، فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ. قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ.

فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ. (متفق عليه).

من فضائل الصحابة

الرسول يختار أبا بكر من بعده

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ. قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ. كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ. (البخاري ٣٦٥٩)

من جوامع الأدعية

دعاء كفارة المجلس

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ. فَقَالَ: إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ (مسند أحمد ٢٤٥٣٠، وصححه الألباني).

قل ولا تقل

قل لما يسجد عليه الإنسان: الجَبْهة. ولا تقل: الجبين. لأن الجَبينين يَكْتَنِفان الجَبْهة من كُلِّ جانبٍ جَبينٌ.

قل: نحنُ في سَعَةٍ، بفتح السين. ولا تقل: نحن في سِعَة، بكسر السين.

إعداد/ علاء خضر

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء.. فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم، يجب على كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه. (مجموع الفتاوى).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«من زار قبر والديه كل جمعة فقرأ عندهما أو عنده «يس» غفر له بعدد كل آية أو حرف».

قال الألباني: (موضوع)، وقراءة القرآن عند القبور بدعة مكروهة، وما رُوي عن ابن عمر أنه أوصى أن يُقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتيمها لا يصح سنده إليه. (السلسلة الضعيفة ١/١٢٦).

من أقوال السلف

قال مالك بن دينار: إذا طلب العبد العلمَ ليعمل به كسره، وإذا طلبه لغير العمل زاده فخرًا.

قالت حفصة بنت سيرين: يا معشر الشباب اعملوا فإنما العمل في الشباب. (كنز العمال).

من حكمة الشعر

كل من أصر على ظلمه ولم يرتدع ولم يتب لا بد له من نهاية سيئة، وفي هذا يقول الشاعر:

إذا ما ظالم استحسن الظلم مذهباً
ولج عتواً في قبيح اكتسابه
فَكِلْهُ إلى صرف الليالي فإنها
ستدعو له ما لم يكن في حسابه

(ديوان الشافعي)

نصائح للدعاة والوعاظ

عَنْ عكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: حَدِّثْ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَة مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْت فَثَلَاثَ مرَار، وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ؛ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَانْظُرْ السَّجْعَ مِنْ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الاجْتِنَابَ. (البخاري ٦٣٣٧).

حكم ومواعظ

عن عمر رضي الله عنه قال: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

عن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن وقال له شاب: أعياني قيام الليل. فقال: قيدتك خطاياك. (كنز العمال).

أثر السياق

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:
المقاصد الشرعية من القرائن التي توضح النص، وبالأخص النصوص المختلَف فيها، فإن المقاصد تُستخدم كقرينة لترجيح أحد المفهومين على الآخر.
فمن المقرر عند المحققين من الجمهور: أن الأحكام الشرعية، ما شُرعت عبثًا من غير سبب دعا إلى تشريعها، ومقاصد يُرَاد تحقيقها، وإنما شُرعت لمصلحة العباد في العاجل والآجل، وهذه المصلحة المقصودة، إما جلب منافع لهم، وإما دفع أضرار ومفاسد ورفع حرج عنهم.
فالمصلحة بوجهيها أو بشقيها هي الباعث الأصلي على التشريع؛ أمرًا أو نهيًا أو إباحة، وعلى هذا دل استقراء النصوص وأحكام الشريعة، سواء كانت عبادات أم معاملات، فالقرآن الكريم غالبًا ما يقرن بحكمه الحكمة الباعثة على تشريعه من جلب نفع أو دفع ضرر، فمن ذلك قوله تعالى: « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة:١٧٩)، فهذه الآية أفادت أن الغرض من تشريع القصاص هو حفظ الحياة.

وفي قوله سبحانه: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ » (الأنفال:٦٠)، بيّنت الآية أن المقصود من إعداد القوة إرهابُ العدو لمنعه من العدوان.

وفي قوله تبارك وتعالى: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ » (المائدة:٩٠، ٩١)، أفادت الآيتان أن الغرض من تحريم الخمر والميسر هو منع ما يترتب عليهما من مفاسد، ومنها العداوة والبغضاء.

وفي قوله جل وعلا: «فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا » (الأحزاب:٣٧). أفادت الآية أن المقصود بها هو رفع الحرج عن المسلمين في نساء أدعيائهم.

ومثل ذلك ما جاء في الحج، قال جل ذكره: « لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » (الحج:٢٨)، وما جاء في فرض الصلاة، قال تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ » (العنكبوت:٤٥).

والسُّنّة سلكت هذا المسلك، فقد اقترن في معظمها ما يدل على القصد من تشريعها صراحة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج..». (متفق عليه).

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: «فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض، والضعيف، وذا الحاجة». (متفق عليه). (دراسات في أصول الفقه متولي البراجيلي: ٢٧٨، ٢٧٩).

تعريف مقاصد الشريعة:

هي الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد، وهي جملة ما أراده الشارع الحكيم من مصالح تترتب على الأحكام الشرعية.

وهذه المصالح كثيرة ومتنوعة، وهي تُجمع في مصلحة كبرى وغاية كلية: هي تحقيق عبادة الله، وإصلاح المخلوقين، وإسعادهم في الدنيا والآخرة.

ومما هو مقرَّر ومعروف أن شرع الله كله مصلحة، ومن العبارات الجارية في ذلك: «إذا وُجدت المصلحة فثمَّ شرع الله».

لكن هذه العبارة ليست على إطلاقها، وإن تُركت هكذا بلا قيود كانت خطأ؛ إذ ليس كل مصلحة أيًا كانت تُحقق شرعَ الله.

فالمصلحة الشرعية تراعي أمر الدنيا والآخرة معًا، فلا تعتبر مصلحة دنيوية، إذا كانت تستوجب عقوبة أخروية.

وبهذا الضابط نعرف الفرق الأساسي بين المصلحة عند القانونيين والعلمانيين وغيرهم، الذين يقولون: حيثما وُجدت المصلحة فثمّ شرع الله، فيجعلون الشرع تابعًا ولاحقًا للمصالح التي يرونها، بينما الأصوليون يصدق على منهجهم: أنه حيثما وُجد الشرع فثمَّ مصلحة العباد.

لأنه لا تعارض بين الشرع وبين مصلحة حقيقية للعباد، وليست مصلحة متوهمة أو فاسدة أو شخصية.

موضوع المقاصد الشرعية:

هو بيان وعرض حِكَم الأحكام، وأسرار التشريع، وغايات الدين، ومقاصد الشارع – بحسب الطاقة– ومقصود المكلف ونيته، وغير ذلك، مما يندرج ضمن ما أصبح يُعرف حاليًا بمقاصد الشريعة، التي أصبحت علمًا شرعيًا، وفنًا من

في فهم النص

الحلقة (٢٨)

إعداد/ متولي البراجيلي

فنون الشريعة الإسلامية، وشرطًا من شروط فهمها وتعقلها وتطبيقها، والاجتهاد في ضوئها، بل إن المقاصد يتزايد الاهتمام بها يومًا بعد يوم.

مما أدى إلى أن كثيرًا من العلماء والباحثين يدعون إلى تأسيس نظرية متكاملة في علم المقاصد يرتكز موضوعها على بحث المصالح الشرعية من حيث تعريفها، وأمثلتها، وحجيتها، وحقيقتها.

مثال ذلك: البيع:

قال الله تعالى: «وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ» (البقرة:٢٧٥). فالبيع مشروع لمصلحة الانتفاع بالعوضين: (الثمن والسلعة)، وهذه المصلحة ضرورية؛ لأن الحياة تقوم عليها، لذلك حُرِّم الاحتكار، ففي حديث معمر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحتكر إلا خاطئ». (مسلم ١٦٠٥).

فالاحتكار يعطل أقوات الناس وأطعمتهم، والاحتكار مصلحة خاصة للمحتكر تنفعه هو فقط على حساب الناس، لذا حرَّمه الشرع، وأحل البيع؛ لأن مصلحته عامة تتعلق بكل الناس، والقاعدة: «أن المصلحة العامة مقدَّمة على المصلحة الخاصة».

وكذلك حرَّم الله تعالى الربا، فمصلحة البيع مصلحة حقيقية (معتبرة)؛ لأن نفعه عائد على جميع الناس بتراض وعدل، بخلاف الربا الذي وإن كانت فيه مصلحةٌ لكنها متوهمة وملغاة، وهي تعود على المرابي فقط الذي يجمع المال على حساب المستضعفين والفقراء.

فالربا إذن لا مصلحة فيه؛ وذلك لما يقع فيه من الغبن وبخس الناس أشياءهم، وأكل أموالهم، وتعميق الفوارق بينهم، وتقطيع أواصر الوحدة والمودة، لذا فقد وصفه الله بأنه ممحوق: «يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ» (البقرة:٢٧٦)، وأعلن الحرب على أهله: «فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ» (البقرة:٢٧٩).

فنظر المجتهد في هذه المصلحة، وفي كونها حقيقية أو وهمية، وعامة أو خاصة، وفي علاقتها بأدلتها الشرعية، وفي إفضائها إلى مراد الشارع ومقصوده، كل ذلك يعدّ من صميم موضوع هذا العلم الشرعي المفيد.

أهمية مقاصد الشريعة:

عدَّها الشاطبي من شروط الاجتهاد، فقال: إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتّصف بوصفين: أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

والثاني: التمكن من الاستنباط بناءً على فهمه فيها (أي في المقاصد). (الموافقات: ٤١/٥، ٤٢).

وقال ابن قدامة: ولا بد من إدراك دقائق المقاصد في الكتاب والسنة. (روضة الناظر ٤٠٦/٢).

وقال الشيخ محمد طاهر بن عاشور، وهو يذكر أسباب انحطاط الفقه وتخلّفه، فجعل من هذه الأسباب: «إهمال النظر في مقاصد الشريعة من أحكامها». (مقدمة نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ٦/١).

إن استخلاص القواعد والكليات من الفروع والجزئيات المنتشرة والمبثوثة في أنحاء الشريعة يستوجب جهدًا وبُعدًا معرفيًا وسعة اطلاع ودقة فهم واستنباط مما لا يُتاح حتى للكثير من المشتغلين بالعلم الشرعي، وعلى الأخص في مجال السياسة الشرعية التي تلعب المصلحة فيها دورًا رئيسًا، وهذه تتغير بتغير الأزمان والأمكنة، لذا كان من القواعد الفقهية المهمة، قاعدة: «لا يُنكر تغير الأحكام بتغير الأزمان» بضوابطها؛ إذ المعنى هنا هو الأحكام القابلة للتغير، وليست الأحكام الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

تعليل الأحكام الشرعية:

الشريعة الإسلامية معلَّلة بحِكَم مقصودة ومصالح محمودة، فقد جاءت لتحقيق عبادة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإصلاحهم وإسعادهم في الدنيا والآخرة، وهذا القول هو قول جمهور العلماء والفقهاء والأصوليين والمحدثين والمفسرين.

قال الشاطبي: والإجماع على أن الشارع يقصد بالتكليف المصالح على الجملة.

وقد ذكر هذا الإجماع الآمدي في الإحكام (٣٨٠/٣، ٤١١)، وابن الحاجب في «منتهى الوصول» (ص١٨٤)، ونقل الدهلوي في «حجة الله البالغة» (٦/١) إجماع السلف عليه، وهذا ما تبناه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١٩٦/١- ٢٠٠)، ودافع عنه بقوة، ولما قال في «مفتاح دار السعادة» (٢٢/٢):



والقرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مملوآن من تعليل الأحكام بالحِكَم والمصالح، والتنبيه على وجوه الحِكَم التي لأجلها شرع تلك الأحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان في القرآن والسنة نحو مائة موضع أو مائتين، لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة.

وقد انتقد العلامة الدهلوي منكري التعليل، وأنكر عليهم ظنَّهم أن الشريعة ليست سوى اختبار وتعبّد لا اهتمام لها بشيء من المصالح، ثم قال: «وهذا ظن فاسد تكذبه السنة وإجماع القرون المشهود لها بالخير». (حجة الله البالغة ٦/١).

ويقول الإمام عز الدين بن عبد السلام: «والشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: «يا أيها الذين آمنوا» فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرًا يحثك عليه أو شرًا يزجرك عنه، أو جمعًا بين الحث والزجر». (قواعد الأحكام ١١/١).

وقال أيضًا: التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، والله غني عن عبادة الكل، لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين. (قواعد الأحكام ٧٣/٢).

ملاحظة:

ابن حزم أنكر تعليل الأحكام وذلك وفق مذهبه الظاهري، وأنه ينكر ربط الحكم بأي حكمة أو مصلحة، فينكر التعليل وينكر القياس. (انظر الإحكام لابن حزم ٧٦/٨ إلى آخر الكتاب).

الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: «يا أيها الذين آمنوا» فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرًا يحثك عليه أو شرًا يزجرك عنه، أو جمعًا بين الحث والزجر

أدلة القول بتعليل الأحكام

أولاً: من القرآن:

أ- التنصيص على حكمة إنزال القرآن، وبعثة الرسل، وبيان الأحكام والشرائع، قال الله تعالى: « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » (الإسراء:٩).

وقال تبارك وتعالى: « رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ » (النساء:١٦٥).

ب- قال سبحانه وتعالى: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (الحج:٧٨).

وقال جل وعلا: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » (البقرة:١٨٥).

وقال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » (النحل:٩٠).

ج- قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة:١٨٣)، فقد علل الصوم بتحصيل التقوى والوقاية من الآثام والعيوب الصحية والنفسية.

وقوله تعالى: « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ » (البقرة:٢٢٢).

فعلل وجوب الاعتزال بكونه أذى.

ثانيًا: من السنة:

التنصيص على كثير من المقاصد الجزئية والحكم الخاصة.

١- مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر» (البخاري ٦٢٤١). فعلل تشريع الاستئذان بصيانة العورات والإعراض عن النظر إليها.

وقوله صلى الله عليه وسلم في الهرة: «إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات» (أبو داود ٧٦ وصححه الألباني).

٢- إقرار النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة في إجرائهم القياس، وعملهم بمقصود النصوص ومراداتها، ومثال ذلك: حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة». (متفق عليه).

فمنهم من فهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ذلك قد حثَّ الصحابة على الإسراع لإدراك بني قريظة - وجعل ذلك هو علة الحديث - وليس المراد بالضرورة ألا يصلي العصر إلاَّ عند الوصول.

أما البعض الآخر فقد فهم من الحديث لزوم الصلاة بعد الوصول، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم الفريقين، ولم يعنفهما.

فائدة:

الفريق الذي صلى العصر لأول وقتها، نظر إلى القرائن والأدلة الأخرى، وإلى المقاصد العامة التي

تعلمها من النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك قوله تعالى: «حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ» (البقرة:٢٣٨)، وهي صلاة العصر كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر». (متفق عليه).

ووصف النبي صلى الله عليه وسلم من يؤخرها بالمنافق، فقال: تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله إلا قليلاً. (مسلم ٦٢٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وُتر أهله وماله». (متفق عليه). إلى غير ذلك من النصوص التي تحث على صلاة العصر خاصة، وتبين فضلها.

بالإضافة إلى النصوص العامة في الحفاظ على الصلوات، كقوله تعالى: «إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا» (النساء:١٠٣).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم عندما سُئل: أي العمل أحبُّ إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها... (متفق عليه).

فإن قيل: إن تأخير الصلاة للجهاد كان حينئذ جائزًا - قبل تشريع صلاة الخوف - بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم أخَّر بعض الصلوات في غزوة الخندق، نقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا». (متفق عليه).

فلو كان الأمر جائزًا، ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على الكافرين؛ لأنهم أخروه عن الصلاة، فعن جابر رضي الله عنه قال: جعل عمر بن الخطاب يسبُّ كفار قريش يوم الخندق ويقول: يا رسول الله، والله ما صليت العصر حتى غابت الشمس أو كادت تغيب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله ما صليتها، ونزلنا معه إلى بُطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا معه فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب. (التمهيد لابن عبدالبر ١٣٢/٢٣).

ورواية ابن مسعود رضي الله عنه التي قال فيها: حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر.. الحديث.

فهذا لا يدل على الجواز، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم في شغل بالجهاد والاستعداد له، فلم يتمكن من أداء الصلاة لأول وقتها، وقد حزن لذلك ودعا على كفار قريش كما رأينا؛ فالحاصل أن الذين جمعوا بين الأدلة ومقاصد التشريع، فهموا أن الحديث له علة (معقول المعنى)، وهي: المسارعة في المسير إلى بني قريظة.

أما وقد سارعوا - ونفذوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم - فلا حرج عليهم إن صلوا الصلاة عند دخول وقتها.

فحديث النبي صلى الله عليه وسلم كان استثناءً من أصل - وهو إقامة الصلوات على وقتها بالأخص صلاة العصر - فهذا الاستثناء له علة، إذا رُفعت هذه العلة أقمنا الحكم على الأصل.

يقول النووي عن اختلاف الصحابة في الصلاة وهم في الطريق إلى بني قريظة.. فسببه أن أدلة الشرع تعارضت عندهم؛ بأن الصلاة مأمور بها في الوقت، مع أن المفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يصلين أحد الظهر أو العصر إلا في بني قريظة» المبادرة بالذهاب إليهم وألا ينشغل عنه بشيء، لا أن تأخير الصلاة مقصود في نفسه من حيث إنه تأخير، فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم؛ نظرًا إلى المعنى لا إلى اللفظ، فصلوا حين خافوا فوات الوقت، وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته فأخروها، ولم يعنِّف النبي صلى الله عليه وسلم واحدًا من الفريقين؛ لأنهم مجتهدون، ففيه دلالة لمن يقول بالمفهوم والقياس ومراعاة المعنى، ولمن يقول بالظاهر أيضًا.. (شرح النووي على مسلم ٩٨/١٢).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، والله غني عن عبادة الكل، لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين

اتبعوا ولا تبتدعوا

الوسطية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فقد امتن الله عز وجل على هذه الأمة واصطفاها واختارها من بين سائر الأمم، فجعلها خير أمة أُخرجت للناس، وجعل لها من الفضل والمنزلة والمكانة ما أهَّلها للشهادة على الأمم، فقال « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (البقرة:١٤٣).

والشاهد يشترط فيه العدالة والخيرية، وهذه الأمة لمنزلتها يستشهدها ربنا تبارك وتعالى على الأمم أنها قد بَلَغَتْهَا رسالاتُ الله، وقامت عليها الحجة، وأن الأنبياء قد بلَّغوها عن الله، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم مزكيًا لهذه الأمة شهادتها.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، فيقال: هل بلَّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمدٌ وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: جاءنا نبينا، فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، فذلك قوله: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (البقرة:١٤٣). (مسند أحمد ١١٧٥٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٨٠٣٣).

معنى الوسط في اللغة:

يأتي الوسط لغةً لعدة معانٍ، منها:

١- ما كان بين طرفي الشيء، وهو منه، كقولك: كسرت وسط الرمح، جلست وسط الدار، جئت وسط النهار.

٢- يأتي صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود. فأوسط الشيء: أفضله وخياره، والفردوس أفضل الجنة، وهو أعلاها، وأوسطها.

٣- ويأتي بمعنى عَدْل. فالوسط من كل شيء: أعدله، وبذلك لا يخرج معنى الوسط عن العدل والفضل والخيرية، فعقيدتنا أفضل العقائد، وخيارها، وأعدلها، فلا إفراط فيها ولا تفريط.

أولاً: وسطية أمة الإسلام بين الأمم الأخرى:

١- في توحيد الله عز وجل وصفاته: فهي وسط بين اليهود والنصارى؛ بين اليهود الذين وصفوا الرب عز وجل بصفات النقص التي يختص بها المخلوق، وشبَّهوه به؛ فقالوا: إنه بخيل، وفقير، وأنه يتعب فيستريح، وأنه يتمثل في صورة البشر، وغير ذلك من الافتراءات، فمن ذلك قوله تعالى: «لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ » (آل عمران:١٨١)، «وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ» (المائدة:٦٤).

وبين النصارى الذين وصفوا المخلوق بصفات الخالق عز وجل؛ فشبَّهوه به، وقالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وأن المسيح ابن الله، وأنه يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، ويثيب، ويعاقب.. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وبينهما ظهرت وسطية المسلمين الذين وحدوا الله عز وجل، فوصفوه بصفات الكمال، ونزَّهوه عن جميع صفات النقص، وعن مماثلته لشيء من المخلوقات في شيء من الصفات، وقالوا: إن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

٢- في أنبياء الله عز وجل، ورسله: فهي وسط أيضًا بين اليهود والنصارى؛ بين اليهود الذين قتلوا الأنبياء، ورموهم بكل شَيْن ونقيصة، وجفوهم، واستكبروا عن اتباعهم.

وبين النصارى الذين غلوا في بعضهم، فاتخذوهم أربابًا من دون الله، واتخذوا المسيح إلهًا من دون الله، قال الله تعالى: « ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

عند أهل السنة والجماعة

إعداد/ معاوية محمد هيكل

سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ » (سورة التوبة:٣١).

وبينهما ظهرت وسطية المسلمين الذين أنزلوا الأنبياء منازلهم، وعزّروهم، ووقّروهم، وصدّقوهم، وأحبوهم، وأطاعوهم، وآمنوا بهم جميعًا عبيدًا لله عز وجل ورسلاً مبشرين ومنذرين، ولم يعبدوهم، أو يتخذوهم أربابًا من دون الله؛ فهم لا يملكون ضرًا ولا نفعًا، ولا يعلمون الغيب.

٣- في أمر الحلال والحرام، فهي وسط أيضًا بين اليهود والنصارى، فاليهود حُرِّم عليهم كثير من الطيبات، منها:

- ما حرم الله عز وجل عليهم جزاء بغيهم وظلمهم، كما قال الله تعالى: « فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا » (النساء:١٦٠)، والنصارى أسرفوا في إباحة المحرمات؛ فأحلوا ما نصت التوراة على تحريمه، ولم يأتِ المسيح عليه السلام بإباحته: فاستحلوا الخبائث، وجميع المحرمات؛ كالميتة، والدم، ولحم الخنزير.

أما المسلمون: فقد أحلوا ما أحل الله لهم في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الطيبات، وحرموا ما حرم عليهم من الخبائث؛ كما قال الله تعالى: « ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ » (الأعراف:١٥٧).

٤- وفي العبادات، فهي وسط بين اليهود والنصارى أيضًا:

فاليهود علموا، ولم يعملوا، فهم المغضوب عليهم، أعرضوا عن العبادات، واستكبروا عن طاعة الله، واتبعوا الشهوات، وعبَّدوا أنفسهم للمادة فاشتغلوا بدنياهم عن دينهم وآخرتهم.

والنصارى لم يعلموا، وعبدوا الله على جهالة، فهم الضالون، غلوْا في الرهبنة، وتعبدوا ببدع ما أنزل الله بها من سلطان؛ فاعتزلوا الناس في الصوامع، وانقطع رهبانهم للعبادة في الأديرة، وألزموا أنفسهم بما لم يُلزمهم الله به، مما يشق على النفس والجسد، ويغالب الفطرة البشرية ويضادها، فلم يستطيعوا الوفاء بذلك، كما حكى الله عنهم: « وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ » (الحديد:٢٧).

أما الأمة الوسط: فقد علموا، وعملوا، فهم الذين أنعم الله عليهم؛ عبدوا الله وحده بما شرع ولم يعبدوه بالأهواء والبدع، ولم ينسوا نصيبهم وحظوظهم في الدنيا، وقدوتهم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسطية أهل السنة بين سائر الفرق

١- فأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق الضالة المنتسبة للإسلام كالخوارج والمعتزلة والقدرية والشيعة فهم وسط بين المفرطين المضيعين وبين المفرطين الغالين، ففي أسماء الله تعالى وصفاته أهل السنة وسط بين المعطلة الذين نفوا أسماء الله وصفاته من الجهمية وغيرهم، وبين الممثلة المشبهة الذين شبّهوا الله بخلقه، فأهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، كما قال تعالى: « لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ » (الشورى:١١).

ففي قوله تعالى: « لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ » رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: « وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ » (الشورى:١١) رد للتعطيل؛ حيث أثبت الله لنفسه السمع والبصر، وسمى نفسه بالسميع والبصير.

فأهل السنة والجماعة يجعلون هذه الآية وأمثالها ميزانًا ومعيارًا يسيرون عليه، وهو ميزان الاعتدال بين الجفاء في الأسماء والصفات وتعطيلها، وبين الإفراط في إثباتها وتشبيهها بصفات المخلوقين؛ فهم يعتقدون أن لله أسماء وصفات تليقان به سبحانه وتعالى، لا يشبه أحدًا من خلقه ولا يشبهه أحدٌ من خلقه وهذا هو موقف الاعتدال بين المعطلة والممثلة.

وفي القضاء والقدر هم وسط بين الجبرية وبين القدرية.

الجبرية: الذين يغلون في إثبات القدر حتى سلبوا العبد فعله واختياره، ويجعلونه مجبرًا على أفعاله ليس له فيها اختيار ولا مشيئة، وإنما هو كالآلة التي تتحرك بدون اختيارها، هذا مذهب الجبرية من الجهمية وغيرهم، وبين مذهب القدرية: الذين ينحلون في قدرة العبد ومشيئته ويجحدون قدرة الله ومشيئته وتقديره للأفعال والأعمال ويقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه بدون أن يكون لله في ذلك تقدير برسالته أو كتابة في اللوح المحفوظ وإنما هو شيء العبد يفعله مستقلاً هذا مذهب القدرية.

وأهل السنة والجماعة بين الفريقين، فهم لا يغلون في إثبات مشيئة الله وقدرته غلو الجبرية فينفوا أفعال العبد، ولا يغلون في إثبات أفعال العبد غلو القدرية فينفوا مشيئة الله وقدرته وإنما يقولون: العبد يفعل باختياره ومشيئته، ولكن لا يخرج عن مشيئة الله وقدره وقضائه، وذلك كما في قوله تعالى: «لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ» (التكوير:٢٨، ٢٩).

فالله أثبت للعبد مشيئة وقدرة واختيارًا وأرجع ذلك وربطه بمشيئة سبحانه وتعالى، فقوله تعالى: «وَمَا تَشَاءُونَ» رد على الجبرية، وقوله تعالى: «إلا أن يشاء الله» ردًا على القدرية.

وأهل السنة والجماعة وسط في نصوص الوعد والوعيد وأصحاب الكبائر بين المرجئة وبين الخوارج والمعتزلة، فالمرجئة يأخذونه بنصوص الوعد ويتركون نصوص الوعيد، ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، فالمعاصي عندهم أمرها هين وسهل ما دام العبد يؤمن بربه يقولون: لا تضره المعاصي أخذًا بنصوص الوعد التي فيها: إن الله غفور رحيم، وإن الله تواب، وإن الله رءوف بعباده، فيأخذون بهذه النصوص وينسون أن الله سبحانه وتعالى شديد العقاب، وينسون أن الله سبحانه وتعالى يغضب على من عصاه فيهم يأخذون بطرف من الأدلة ويتركون الطرف الآخر، والله جمعهما في آية واحدة، كقوله: «غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ» (غافر:٣).

فهو مع كونه غافر الذنب وقابل التوب، فهو أيضًا شديد العقاب لمن عصاه، لكن المرجئة أخذوا بالطرف الأول غافر الذنب وقابل التوب وتركوا شديد العقاب وقالوا: ما دام الإنسان مؤمنًا فمهما عمل من المعاصي والكبائر فإنه كامل الإيمان ولا تضره المعصية، أما الخوارج والمعتزلة فهم على النقيض من المرجئة أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد فأخذوا بقوله تعالى: «شديد العقاب»، وقوله: «وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا» (الجن:٢٣).

فأخذوا نصوص الوعيد وقالوا: إن مرتكب الكبيرة كافر خالد مخلد في النار بدليل قوله: «شديد العقاب»، ودليل قوله: «وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا» (الجن:٢٣).

فهذا فيه أن جميع العصاة في نار جهنم خالدين فيها أبدًا، ونسوا أن الله جل وعلا يغفر لمن يشاء من أهل الإيمان، كما قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ» (النساء:٤٨)، فالمؤمن السالم من الشرك والكفر إذا فعل كبيرة من كبائر الذنوب فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، خلافًا للوعيدية الذين يقولون: إن الله لا يغفر له، و«شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ» (البقرة:١٩٦) رد على المرجئة؛ لأن مرتكب الكبيرة معرّض للعقوبة، لكن إن شاء الله عاقبه، وإن شاء غفر له، وإذا عاقبه فإنه لا يخلد في النار؛ لأنه لا يخلد في النار إلا الكافر، أما المؤمن فإنه إن دخل النار بذنوبه فإنه يخرج منها ولا يخلد فيها بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله جل وعلا يوم القيامة يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان». ((أخرجه البخاري: ١/١١).

فالمؤمن الذي يرتكب الكبيرة معرّض للعقوبة، وإن شاء الله غفر له ولم يعاقبه وإن شاء عاقبه، ولكنه لا يخلد في النار، بل هو موعود أن يخرج من النار ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر، هذا مذهب أهل السنة والجماعة الوسط في أن مرتكب الكبائر من المؤمنين لا يكفر خلافًا للخوارج، وأنه عرضة للعقاب خلافًا للمرجئة فهم جمعوا بين النصوص وعملوا بها كلها فبذلك صاروا وسطًا في هذا الباب بين الوعيدية وبين المرجئة.

وكذلك أهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج

ظهرت وسطية المسلمين الذين وحدوا الله عز وجل، فوصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص، وعن مماثلته لشيء من المخلوقات في شيء من الصفات، وقالوا: إن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله

وبين الروافض والشيعة، فالخوارج كفّروا كثيرًا من الصحابة بناء على مذهبهم الفاسد في نصوص الوعيد، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أفضل الأمة وإذا صدر من أحدهم خطأ فإنهم أقرب إلى مغفرة الله من غيرهم من العصاة؛ لفضلهم وسبقهم، قال الله تعالى: « لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ » (سورة التوبة:١١٧).

أما الرافضة فإنهم غلوا في علي بن أبي طالب، حتى إن منهم من اعتقد أنه هو الله وهم غلاة الشيعة الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار. فقد أمر بالأخاديد فحفرت وأضرم النيران ثم ألقاهم فيها وهم أحياء؛ غضبًا لله سبحانه وتعالى، وأقر الصحابة عليًا على قتلهم إلا أنهم يقولون: إنه لو قتلهم بالسيف لكان أحسن من قتلهم بالنار؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يعذب بالنار إلا رب النار». (أخرجه الإمام أحمد: ٤٩٤/٣ وصححه الألباني).

لكنهم وافقوا على كفرهم وعلى قتلهم، وكثير من الروافض لا يعتقدون أن عليًا إله، ولكن يقولون: هو أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان وأن هؤلاء مغتصبون للخلافة وظلموا عليًا في أنهم أخذوا الخلافة قبله، وكان هو الوصي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل هذا كذب، فالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين هو أبو بكر، ثم من بعده عمر بن الخطاب، ثم من بعده عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، وهو الخليفة الرابع، هذا موقف أهل السنة والجماعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقدون فضلهم وسابقتهم وأنهم أفضل الأمة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». (البخاري: ١٥١/٣، ومسلم: ٢٥٣٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». (البخاري: ١٩٥/٤، ومسلم: ٢٥٤٠، ٢٥٤١). قال الله تعالى: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا » (الفتح:٢٩).

فلا يبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبهم وينتقصهم إلا كافر، كما في هذه الآية: «ليغيظ بهم الكفار».

فموقف الرافضة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم التكفير والتنقص والطعن فيهم، ويعتقدون ذلك من أفضل القربات، قبحهم الله.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يحبون كل الصحابة وآل البيت: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والعباس، وأهل البيت وغيرهم من الصحابة؛ لما جاء في الكتاب والسنة عن فضلهم وسابقتهم والنهي عن تنقصهم والأمر بالاقتداء بهم واتباعهم، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (الحشر:١٠).

فأهل السنة والجماعة يحبونهم كلهم ويتولونهم كلهم، لا يفرقون بينهم ويعتقدون فضلهم وسابقتهم، وأنهم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن فضائلهم كثيرة في كتاب الله، وأن أحدًا لا يمكن أن يصل إلى درجتهم مهما بلغ من العبادة ومهما بلغ من الأعمال الصالحة، فلا يمكن أن يلحق بالصحابة أبدًا: «لو أنفق أحدكم مثل أُحدًا ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» (متفق عليه).

فأهل السنة والجماعة يخالفون الخوارج الذين يكفّرون كثيرًا من الصحابة، ويخالفون الشيعة الذين يغلون في علي رضي الله عنه وينتقصون غيره من الصحابة، هذه وسطية الفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة بين فرق الضلال من الخوارج والمرجئة والشيعة والقدرية، وبهذا صاروا الأمة الوسط، وصدق الله العظيم: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (البقرة:١٤٣).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من هذه الأمة الوسط، وأن يوفقنا وإياكم لقول الحق والعمل به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ظهرت وسطية المسلمين الذين أنزلوا الأنبياء منازلهم، وعزّروهم، ووقروهم، وصدّقوهم، وأحبوهم، وأطاعوهم، وآمنوا بهم جميعًا عبيدًا لله عز وجل ورسلاً مبشرين ومنذرين، ولم يعبدوهم، أو يتخذوهم أربابًا من دون الله؛ فهم لا يملكون ضرًا ولا نفعًا، ولا يعلمون الغيب

الطريق إلى الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه، وبعد:

فإن من شأن الفتن أنها تتلون وتتزيا بلبوس يختلط فيها الحق بالباطل حتى يصبح الحليم فيها حيران، لكن السعيد من جنَّبه الله هذه الفتن التي بلبلت عقائد بعض الناس فرأوا الحق باطلاً والباطل حقًّا، وزعم بعضهم أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام قولاً وعملاً، غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحق إلا واحدًا لا يتعدد ولا يتلون، ورثه الخلفُ عن السلفِ عقيدة وعملاً وفهمًا وسلوكًا، فالذي يدعي التمسك بالشريعة في كل جوانبها فهمًا وعملاً عليه أن يزن كلامه بميزان الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وإلا فلا، فكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك.

إن الطريق الذي يضمن لك السلامة واحد لا يتعدد؛ لأن الله كتب الفلاح والنجاح لحزب واحد فقط، فقال: «أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (المجادلة:٢٢)، ولن تجد التفرق والتحزب على خلاف المنهج القويم إلا مذمومًا، فكيف يقر ربنا عز وجل أمة على التشتت بعدما عصمها بحبله، قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ» (الأنعام:١٥٩).

فالحق سبحانه يبين أن السبيل إليه واحد لا يجوز التقول على رسول الله فيها بادعاء أن الطريق إلى الله بعدد أنفاس البشر يسع المسلمين الخلاف فيها، فهذا مما يُعلم بطلانه في دين الله، فالحق لا يكون إلا واحدًا.

سُئل مالك عمن أخذ بحديث حدثه ثقة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتراه من ذلك في سعة؟ فقال مالك: لا، والله حتى يصيب الحق، ما الحق إلا واحد، قولان مختلفان يكونان صوابًا جميعًا؟ ما الحق والصواب إلا واحد.

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «الجماعة» (ابن ماجه ٣٩٩٢ وصححه الألباني)، ثم فسّر لفظ الجماعة عند الحاكم (٤٤٤) بإسناد حسن لغيره، «قالوا من هي يا رسول الله، قال: هم من كانوا على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فلما تتعددت الفهوم واختلفت العقول صار المرد في ذلك حسمًا للنزاع هو تقييد فهم الأخلاف بفهم الأسلاف.

قال الصنعاني رحمه الله في شرحه لحديث افتراق الأمة: ليس ذكر العدد في الحديث (يعني حديث افتراق الأمة) لبيان كثرة الهالكين وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وشعبها ووحدة طريق الحق، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله: «وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ» (الأنعام:١٥٣) أنه جمع السُبل المنهي عن اتباعها لبيان تشعُّب طرق الضلال وكثرتها وسعتها وأفرد سبيل الهدى والحق لوحدته وعدم تعدده.

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ» (الأنعام: ١٥٣)» (مسند أحمد ٤١٤٢ وحسنه الألباني).

فدل الحديث بنصه على أن الطريق واحد لا يتعدد.

قال ابن القيم في التفسير القيم:

واحد لا يتعدد

إعداد
أحمد صلاح رضوان

«وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه ولا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب، فالطريق عليهم مسدودة والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله موصل إلى الله.

قال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرب من السنة، وأغرب منها من يعرفها.

فالمسلم الحق لا تزيده الغربة إلا صمودًا على الحق الذي معه، ولو خذله العالمون؛ لأنه مستأنس بالله تعالى، وعلم أنه منصور حتى لو كان وحده، فإن الحق لا يُعرف بالكثرة، بل الكثرة قد تكون مخذلة عن الحق وطلبه، مذمومة إن لم تكن على منهج السلف الذين هم أسلم الناس فهمًا، وأعمق الناس علمًا، وأقل الناس تكلفًا، وإنما المنحرف عن هذه الطريق من استأنس بالتعدد، واستوحش من التفرد، وإن شيخ الإسلام ابن تيمية (طيب الله ثراه) قد قال في ذلك كلامًا يكتب بالذهب لا بالماء، قال رحمه الله في منهاج السنة النبوية: لو انفرد الرجل في بعض الأمصار والأعصار بحق جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تنصره الناس عليه، فإن الله معه وله نصيب من قوله: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ» (سورة التوبة:٤٠).

قال أبو شامة في «الباعث على إنكار البدع والحوادث»: وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة (كما في الحديث) فإن المراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرًا؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى (يعني النبي وأصحابه) ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (مسلم ١٩٢٠).

لقد اشتملت سورة الفاتحة على الدواء الشافي لحل مشكلات الخلاف والنزاع في الأمة، وذلك في الحث على فهم الصحابة والسلف الكرام، فقوله: «ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ» (الفاتحة:٦) اشتمل على ركني الكتاب والسنة، وقوله: «صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» (الفاتحة:٧) اشتمل على فهم السلف لهذا الصراط، مع أنه لا يشك أحد أن من التزم بالكتاب والسنة فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم إلا أنه لما كان فهم الناس منه الصحيح ومنه السقيم، اقتضى الأمر ركنًا ثالثًا لرفع الخلاف والنزاع ألا وهو تقييد فهم الخلف بفهم السلف.

ومن الفوائد اليانعة في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين سنته وبين سنة خلفائه الراشدين، وإلى ذلك أشار ابن قدامة في لمعة الاعتقاد، ثم تأمل كيف قابل الاختلاف بالتزام هذا المنهج لتعلم أن ضابط فهم السلف الصالح سببُ النجاة من التفرق المذموم.

قال الأوزاعي رحمه الله: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكُف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم. (أصول الاعتقاد).

قال ابن تيمية في «التفسير الكبير»: «من خالف قولهم، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا.

فالجماعة المعنية في الحديث هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن كان على طريقهم ليست أي جماعة، فالشيعة جماعة، والصوفية جماعة، والروافض على اختلاف مشاربهم جماعة، وإنما هم السلف الذين ارتضاهم الله لنا قدوة وجعل منهجهم لنا منهاجًا، ومن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: «لم يستوعب الحق إلا من اتباع المهاجرين والأنصار، ثم قال: الصحابة هم أعلم بمفهوم الخطاب اللغوي وبأسباب الحكم الشرعي وبدلالات حال النبي صلى

الدين مبناه على الاتباع لا الاختراع، والرأي في الغالب مذموم؛ لأن كثيرًا من أمور الدين لا يهتدي إليها العقل بمفرده ولا سيما أن العقول تتفاوت في إدراكاتها، ولذلك كان فهم السلف للنصوص أسلم وأعلم وأحكم

الله عليه وسلم.

قال الإمام ابن بطة رحمه الله في «الإبانة» في بيان سبب اجتماع كلمة السلف على عقيدة واحدة:

«فلم يزل الصدر الأول على هذا جميعًا، على ألفة القلوب واتفاق المذاهب، كتاب الله عصمتهم وسنة المصطفى إمامهم لا يستعملون الآراء ولا يفزعون إلى الأهواء فلم يزل الناس على ذلك والقلوب بعصمة مولاها محروسة والنفوس عن أهوائها بعنايته محبوسة».

وصدق رحمه الله فإن دين الله واحد لا يختلف كما قال الله تعالى: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا » (النساء:٨٢)، وهذا الطريق الواحد هو أغنى الطرق وأكملها، كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية: «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك». (رواه أحمد وابن ماجه (٤٣) والحاكم وصححه الألباني).

وعلى هذا إذا حاول الإنسان بفهمه وبتدبير عقله أن يفعل ما لم يكن عليه الصدر الأول العظيم فإنما يعرج في طرقات وأودية المهالك، لذلك اشتد نكير السلف الصالح على من يزيد في الدين ويوغل فيه برأيه بعد التمام والكمال، فلا نامت أعين أهل البدع الذين يريدونها هلاكًا وضياعًا؛ وذلك لأن الدين مبناه على الاتباع لا الاختراع، والرأي في الغالب مذموم؛ لأن كثيرًا من أمور الدين لا يهتدي إليها العقل بمفرده ولا سيما أن العقول تتفاوت في إدراكاتها، فكان فهم السلف للنصوص أسلم وأعلم وأحكم كما قال الله: «فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ » (البقرة:١٣٧).

ثم نسمع بعد ذلك من بعض المتهوكين معكوسي الفكر والعقل منكوسي الفطر يريدون للأمة تخليًا عن عزها وشرفها المضمون في كتاب ربها وسنة نبيها بدعوى أن فهوم الصحابة والسلف الكرام لا تصلح لمجاراة الأحداث في القرون المتأخرة، فالزمان ليس هو الزمان وكذلك الأحداث متباينة مختلفة، وهذه دعوى عارية عن الفهم الصحيح خصوصًا إن عرفت من ينادي بها، وكذلك يغني بطلانها عن إبطالها، فالصحابة والسلف الكرام ملكوا الدنيا بالاتباع لدينهم وسنة نبيهم، ومكّن الله لهم في الأرض ونصرهم وأيدهم على عدوهم بهذا الطريق الواحد البين الواضح وما عرف الذل والصغار إلا على المتخلف عن هذا الطريق المنسلخ من دينه الذي لا يرتضيه سبيلاً في الحياة.

وانظر كيف أسس الصحابة دولة للإسلام في أقل مدة لا تُحسب من حساب الزمن بمنطق الماديات، آخذين بأسباب التمكين وإرساء القواعد والتشييد للأمة.

ثم انظر ماذا فعل الصّديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حافظ على الاستقرار الداخلي للأمة، وأمّن الحدود، وأظهر القوة بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، فكانت نعم السياسة والكياسة وأمّن الله به الأمة وحفظ به الدين، وهذا عمر رضي الله عنه أسّس نظامًا اقتصاديًا وعسكريًا واجتماعيًا ما عهدته الدنيا، فقد أنشأ بيتًا للمال، ووضع له نظامًا يضمن حقوق الأفراد على اختلاف أجناسهم يسوي فيه بين الناس لا يظلم أحدًا، وأنشأ الدواوين لضمان الحقوق وأنشأ الحسبة ووضع نظامًا عظيمًا لجيش المسلمين ونظم فيه التجنيد وشئون الولاة، وغير ذلك.

فهؤلاء قوم ارتضاهم الله لنا قدوة في ديننا ودنيانا، ثم قل لي بربك: ماذا صنع العلمانيون والمبتدعون وأهل الأهواء إلا الشعارات الكاذبة الفارغة كالطبل الأجوف تسمع صوته وتراه خاويًا فارغًا، فهؤلاء يريدون أن تنحرف الأمة عن مسارها الصحيح إلى تيه لا يعلم مداه إلا الله، فنسأل الله ألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

ولله در الإمام مالك حين قال: «لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، فاعتبروا يا أولي الأبصار، الطريق إلى الله واحد لا يتعدد.

والحمد لله رب العالمين.

باب الأسرة

الأسرة المسلمة واتباع الشرع

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فمن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أجاب إلى ما دُعي، وقام على ما أُمر به، فهؤلاء من أمة الدعوة والإجابة والاتباع، جعلنا الله تعالى منهم.

وأمثال هؤلاء قال الله تعالى فيهم: «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا» (الأحزاب: ٢٣).

وقال في نسائهم: «فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ» (النساء: ٣٤).

وقال في ذرياتهم: «وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ» (الطور: ٢١).

وجمعهم سبحانه وتعالى في مقام واحد في دار المقامة فقال:

«إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٣٥).

والله تعالى الذي خلقنا لعبادته؛ لا تتحقق عبادته وحبه إلا باتباع شرعه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: «قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ»، فصرح تعالى في هذه الآية الكريمة: أن اتباع نبيه موجب لمحبته جل وعلا، وذلك يدل على أن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم هي عين طاعته تعالى، وصرح بهذا المدلول في قوله تعالى: «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ» (النساء: ٨٠)، وقال تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر: ٧). (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٨/٤).

تنبيه:

يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي اتباعه صلى الله عليه وسلم، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر؛ إذ لو كان محبًا له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة، ومنه قول الشاعر:

لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

وقد أجاد أيضا من قال:
قالت:

وقد سألتُ عن حال عاشقها
بالله صِفْهُ ولا تَنقص ولا تَزِدِ
فقلتُ: لو كان رهن الموت من ظمأ
وقلتِ قف عن ورود الماء لم يرد

وقال الله تعالى: «فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ١٥٧).

فإذا علمت أيها المسلم أن هذا القرآن العظيم، هو النور الذي أنزله الله ليُستضاء به، ويُهتدى بهداه في أرضه، فكيف ترضى لبصيرتك أن تعمى

علامة المحبة الصادقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي اتباعه صلى الله عليه وسلم، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفترٍ؛ إذ لو كان محبًا له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة

عن النور. فلا تكن خفاشي البصيرة، واحذر أن تكون ممن قيل فيهم:

خفافيش أعماها النهار بضوئه
ووافقها قطع من الليل مظلم

ومن الآيات في اتباع شرع الله سبحانه قوله: «اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (الأعراف:٣).

فقد أمر الله جل وعلا باتباع هذا القرآن العظيم، ناهيًا عن اتباع الأولياء المتَّخذين من دونه تعالى.

وقال أيضًا: «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» (الزمر: ٥٥).

وأما كون القرآن فيه الأحسن والحسن، فقد دلت عليه آيات من كتابه، ولا شك في أن الواجب أحسن من المندوب، وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن، واتباع المحكم أحسن من اتباع المتشابه.

ثانيًا: بركة الاتباع

١- نيل الفلاح في الآخرة:

قال تعالى: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف:١٥٧).

فالذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه أي وقروه وعظموه، ونصروه على أعدائه من المشركين والكافرين والمنافقين «وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ» وهو القرآن الكريم «أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أي وحدهم دون سواهم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

٢- الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة

قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

فذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن كل عامل سواء كان ذكراً أو أنثى عمل عملاً صالحاً فإنه جل وعلا يقسم ليُحْيِيَنَّهُ حياة طيبة، وليَجْزِيَنَّهُ أجره بأحسن ما كان يعمل.

والعمل الصالح - كما دل على ذلك القرآن العظيم- هو ما استكمل ثلاثة أمور:

الأول: موافقته لما جاء به النَّبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله يقول: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا» (الحشر: ٧).

الثاني: أن يكون خالصاً لله تعالى؛ لأن الله جل وعلا يقول: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» (البينة: ٥)، وقال: «قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ» (الزمر: ١٤، ١٥).

الثالث: أن يكون مبنيًا على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله يقول: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» (النحل: ٩٧). فقيَّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح. (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٢٣/١٧).

٣- عموم الخير والرخاء ديار أتباع الإسلام:

قال تعالى: «وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا» (الجن: ١٦) «لأسقيناهم» لوسعنا عليهم في الدنيا؛ وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلاً؛ لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأقيم مقامه؛ كقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (الأعراف: ٩٦)، وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم» أي بالمطر. والله أعلم. وقال سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل وعطية وعبيد بن عمير والحسن: «كان والله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي». (الجامع لأحكام القرآن١٩/١٨).

٤- نيل حب الله ومغفرته:

قال تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (آل عمران/٣١). «تُحِبُّونَ اللَّهَ»: لكمال ذاته وإنعامه عليكم «يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»: لطاعتكم إياه وطهارة أرواحكم بتقواه. «وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ»: يسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها. (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٣٠٨/١).

وسنرى الكثير من بركة الاتباع عند الحديث عن بعض النماذج المشرفة من أهل اتباع الشرع.

ثالثًا: نماذج مشرفة من أهل اتباع الشرع

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه

قال أبو بكر رضي الله عنه: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله تعالى بما لا أدري أو ما لم أسمع. (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال١٠/٥٨٠).

وهو يقصد بذلك أين سيذهب من الله عز وجل إذا أفتى في كتاب الله تعالى بما لم يعلمه ولم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن عروة قال: لما فرغوا من البيعة واطمأن الناس قال أبو بكر لأسامة: امض لوجهك الذي بعثك له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه رجال من المهاجرين والأنصار وقالوا: أمسك أسامة وبعْثه، فإنا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: وكان أحزمهم أمرًا: أنا أحبس جيشًا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد اجترأت على أمر عظيم!! فوالذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحب إليّ من أن أحبس جيشا بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمِرت به، ثم اغزُ حيث أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية فلسطين وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركت، ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب فأستشيره وأستعين به، فإنه ذو رأي ومناصح للإسلام فافعل، ففعل أسامة. (جامع الأحاديث ٢٥/٢٦٦).

وفي رواية أبي هريرة قال: والذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة -أي اكفف- فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام فلما نزل بذي خشب قُبض صلى الله عليه وسلم، وارتدت العرب حول المدينة، واجتمع إلى أبي بكر رضي الله عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: رُدّ هؤلاء! توجِّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا حللت لواءً عَقَدَه، فوجَّه أسامة، فجعل أسامة لا يمر بقوم يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام. انتهى. (البيهقي، وابن عساكر وسنده حسن).

فانظر أخي إلى بركة الاتباع من هذا العبد الصالح، والتوكل على الله.. نصر وغنيمة وثبات المترددين الحيارى وقوة للإسلام ومَنَعَة.

ومن مواقف أبي بكر العظيمة في الاتباع أيضًا وشاركه فيها زيد:

٢- زيد بن ثابت رضي الله عنه:

- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة (أي في زمن مقتلهم)، فإذا عمر رضي الله عنه جالسٌ عنده، فقال أبو بكر: إن عمر جاءني فقال: إن القتل قد استحَرَّ (كثُر) يوم اليمامة بقرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر: وكيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزل عمر يراجعني

إذا علمت أيها المسلم أن هذا القرآن العظيم، هو النور الذي أنزله الله ليُستضاء به، ويُهتدى بهداه في أرضه، فكيف ترضى لبصيرتك أن تعمى عن النور. فلا تكن خفاشي البصيرة

في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: فقال لي أبو بكر: إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبَّع القرآن فاجمعْه. قال زيدٌ: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قال زيد: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: هو - والله - خيرٌ، قال زيد: فلم يزل أبو بكر رضي الله عنه يراجعني، ولم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، قال فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعُسُب، واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره «لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ» (التوبة: ١٢٨) خاتمة براءة، قال: فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر. (متفق عليه).

فانظر إلى كل واحد فيهم يقول للآخر: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكانت البركة، جمع كتاب الله وحفظه حتى أنه بين أيدينا الآن.

٣- أسامة يرفض التعصب وفتح باب الشر:

عن أُسَامَةَ رضي الله عنه وقيل لَهُ: لَوْ أَتَيْتَ فُلَانًا فَكَلَّمْتَهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ، دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ، أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يُجَاءُ بِالرَّجُلِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ». (متفق عليه).

نماذج نسائية

١، ٢- أم حبيبة، وزينب بنت جحش:

عن زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما أنها دخلت على أم حبيبة رضي الله عنها؛ زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية، ثم مست بعارضيها، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر:«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا».

قالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست منه، ثم قالت: أما والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر:«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا». (متفق عليه).

صغار الصحابة

١- أنس بن مالك:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن ثمان سنين فأخذت أمي بيدي، فانطلقت بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا قد أتحفك بتحفة، وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلا ابني هذا، فخذه فليخدمك ما بدا لك، فخدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما ضربني ضربة، ولا سبني سبة، ولا انتهرني ولا عبس في وجهي، فكان أول ما أوصى لي به أن قال:«يا بني؛ اكتم سري تك مؤمنا». وكانت أمي وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألنني عن سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أخبرهم به، وما أنا بمخبر بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أبدا. (تاريخ دمشق ٩/٣٤١).

الأئمة الأربعة

- قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين؛ فهم رجال ونحن رجال»؛ يريد رحمه الله أمثاله وأمثال الأئمة الكبار.

وقد استغل هذه الكلمة بعض أنصاف المتعلمين، الذين جعلوا أنفسهم في مصاف الأئمة المجتهدين، وهم لا يزالون جهالاً، ولا شك أن الإمام أبا حنيفة لا يقصد مساواة العلماء بالجهال.

- وقال مالك رحمه الله: «كلنا رادّ ومردود عليه؛ إلا صاحب هذا القبر، يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم».

- وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي». وقال: «إذا خالف قولي قول رسول الله؛ فاضربوا بقولي عرض الحائط».

رابعًا: شؤم المخالفة

١- من العواقب التي تعقب مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم فتنة القلب.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: كيف يتجاسر أحد أن يعارض نصوص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بقول حكاه حاك مستحسنا له، والله سبحانه يقول: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣).

قال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. فطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة على طاعة كل أحد، وإن كان خير هذه الأمة أبا بكر وعمر. (تفسير ابن كثير٢/٣٤٨).

- ومن أشد العواقب التي أعقبت مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم؛ ما حدث يوم أحد،

لما خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلوا من فوق الجبل.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير الأنصاري، ووضعهم موضعًا وقال:«إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا قد هَزمنا القوم وظهرنا عليهم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم». قال: فهزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل قد بدت أسوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، قد ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، قال فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا، فأصابوا منا سبعين رجلاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيرًا وسبعين قتيلاً. (الطبقات الكبرى ٢/٤٧).

- عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك... فلما أتينا تبوك قال:«أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن أحد، ومن كان معه بعير فليعقله». فعقلناها وهبت ريح شديدة فقام رجل فألقته بجبل طيء. يعني من تبوك إلى حائل. ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم فشفي. (صحيح البخاري ١٤٨١).

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٣٠)

قصة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعليٍّ ليلة النصف من شعبان

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ في ليلة النصف من شعبان، وقد اغتر بهذه القصة جماعة من الفقهاء كصاحب الإحياء وغيره، وكذا بعض المفسرين.

ولقد بيَّنا في هذه السلسلة «تحذير الداعية» من قبل قصة عائشة رضي الله عنها ليلة النصف من شعبان، وقصة الصلاة ليلة النصف من شعبان التي تعدل عشرين حجة مبرورة، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة:

أولاً: متن القصة

رُويَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا عليّ، من صلى مائة ركعة في ليلة النصف (من شعبان) يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد عشر مرات.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا علي، ما من عبد يصلي هذه الصلوات إلا قضى الله عز وجل له كل حاجة طلبها تلك الليلة.

قيل: يا رسول الله، وإن كان الله جعله شقيًا أيجعله سعيدًا؟

قال: والذي بعثني بالحق يا عليّ إنه مكتوب في اللوح أن فلان بن فلان خُلق شقيًا يمحوه الله عز وجل ويجعله سعيدًا، ويبعث الله إليه سبعين ألف ملك يكتبون له الحسنات ويمحون عنه السيئات، ويرفعون له الدرجات، إلى رأس السنة، ويبعث الله عز وجل في جنان عدن سبعين ألف ملك أو سبعمائة ألف ملك يبنون له المدائنَ والقصور، ويغرسون له الأشجار، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب المخلوقين مثل هذه الجنان، في كل جنة على ما وصفت لكم في المدائن والقصور، والأشجار.

فإن مات من ليلته قبل أن يحول الحول مات شهيدًا ويعطيه الله تعالى بكل حرف من قل هو الله أحد في ليلته من ذلك تسعين حوراء، لكل حوراء وصيف ووصيفة وسبعون ألف غلام، وسبعون ألف قهارمة وسبعون ألف حجاب.

وكل من قرأ قل هو الله أحد في تلك الليلة يكتب له أجر سبعين شهيدًا، وتقبل صلاته التي صلاها قبل ذلك، وتقبل ما يصلي بعدها.

وإن كان والداه في النار دعا لهما أخرجهما الله من النار بعدُ إن لم يشركا بالله شيئًا ويدخلان الجنة يشفع كل واحد منهما في سبعين ألفًا إلى آخر ثلاث مرات، والذي بعثني بالحق إنه لا يخرج من الدنيا حتى يرى منزله في الجنة كما خلقه الله أو يُرى له.

والذي بعثني بالحق إن الله عز وجل يبعث في كل ساعة من ساعات الليل والنهار وهي أربع وعشرون ساعة سبعون ألف ملك يسلمون عليه ويصافحونه، ويدعون له إلى أن ينفخ في الصور ويحشر يوم القيامة مع الكرام البررة، ويأمر الكاتبين أن لا تكتبوا على عبدي سيئة، واكتبوا له الحسنات إلى أن يحول عليه الحول، ومن صلى هذه الصلاة وهو يريد الصلاة والدار الآخرة يجعل له نصيبًا من عند تلك الليلة.

ثانيًا: التخريج

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية أخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٢٧) قال: أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد

اغْتَرَّ بهذا الحديث جماعة من الفقهاء كصاحب الإحياء وغيره من المفسرين، وقد رُويتْ صَلاة هذه الليلة، على أنحاء مختلفة كلها باطلة !!

الحداد، أنبأ أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد المقري، أنبأنا أبو عمرو عبد الرحمن بن طلحة الطليحي، أنبأنا الفضل بن محمد الزعفراني، حدثنا هارون بن سليمان، حدثنا علي بن الحسن عن سفيان الثوري، عن ليث، عن مجاهد عن عليّ بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا علي، من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان...» الحديث.

ولقد اغتر بهذا الخبر كثير من الناس؛ حيث أورده أبو حامد الغزالي في كتابه الذي اشتهر على ألسنة كثير من القصاص والوعاظ المسمى «إحياء علوم الدين» (٢٠٣/١) حيث قال:

«وأما صلاة شعبان: فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة، كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة.. وكان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير، ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة، وروى عن الحسن أنه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة، أدناها المغفرة».

قُلْتُ: وإن تعجب فعجب أن تكون هذه الصلاة أصلاً من أصول الطرقية ويجعلونها منهجًا من مناهج السلفية في ليلة النصف من شعبان مغترين بقول صاحب الإحياء:

«وكان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير».

وهكذا يتعبد الطرقية بالبدع ويُخيل إليهم من جهلهم بالصناعة الحديثية أنهم على منهج السلف وأنهم السلفية حتى قال شيخ طريقة مشهورة في صحيفة مصرية يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ تحت عنوان: «محتكرو السلفية أشعلوا الفتنة بدعم من السعودية»، ثم قال: «من يطلقون على أنفسهم سلفيين من المسلمين ينقسمون قسمين: أحدهم سلفي وكل الصوفية سلفيون.

وهناك قسم جاهل يحتكر مسمى السلفية وهم الذين يذمون القبور...». اهـ.

قُلْتُ: ولا يهمنا ذكر اسم الصحيفة ولا شيخ الطريقة بقدر بيان هذا المنهج الفاسد المبني على قصص واهية يُخيل لهم بها أنهم هم السلفية وأنهم أحسن عملاً، وأن غيرهم جاهل يحتكر مسمى السلفية.

قال الله تعالى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» (الكهف:١٠٣، ١٠٢).

ثالثا: التحقيق

١- قال الإمام محمد بن علي الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص(٥١): «وقد اغتر بهذا الحديث جماعة من الفقهاء، كصاحب الإحياء وغيره، وكذا من المفسرين، وقد رُويَت صلاة هذه الليلة، أعني ليلة النصف من شعبان على أنحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة». اهـ.

قُلْتُ: ونبين للقارئ الكريم معاني ما جاء في كلام الإمام الشوكاني من مصطلحات حديثية حتى يقف على رتبة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية، وحكم روايته.

١- قوله: «كلها باطلة موضوعة». ما معنى موضوعة؟

الموضوع: «هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم».

٢- رتبته: «هو شر الضعيف وأقبحه».

٣- حكم روايته: «أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مع بيان وضعه».

قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «تحرم روايته مع العلم به أي بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مبينًا أي: مقرونًا ببيان وضعه لحديث مسلم: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِيْن». اهـ.

أخرجه م(١)، ت(٢٦٦٢)، جه(٤١)، حب (٢٩)، حم (٢٠٢٤٢).

رابعًا: علة الخبر

علة الخبر الذي جاءت به هذه القصة، وكانت سبب الحكم على القصة بأنها واهية وعلى الخبر بأنه موضوع: الراوي عليُّ بن الحسن.

١- فقد أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/١١٩/٥٨٠٥) قال: «علي بن الحسن بن يعمر السامي، ثم نقل قول الإمام ابن حبان فيه، قال ابن حبان: لا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب، ثم أورد خمسة أحاديث منكرة باطلة تدل على أنه لا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب وختمها بحديث القصة.

عن هارون بن سليمان الأصبهاني، حدثنا علي بن الحسن، عن الثوري، عن ليث، عن مجاهد، عن عليّ مرفوعًا: يا عليّ، ما من عبد صلى ليلة النصف مائة ركعة بألف «قل هو الله أحد» إلا قضى الله له كل حاجة طلبها...». الحديث بطوله. وهو باطل، وهو على هذا في عداد المتروكين». اهـ.

٢- ثم أورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/٢٤٤) (١٤١٩/٥٧٧٠) علي بن الحسن بن يعمر وهو السامي أو الشامي، ونقل الحافظ ما أورده الإمام الذهبي في «الميزان»، وأقره خاصة القصة بسندها ومتنها، والحكم ببطلانها.

«هارون بن سليمان الأصبهاني: حدثنا علي بن الحسن، عن الثوري، عن ليث، عن مجاهد، عن علي رضي الله عنه مرفوعًا: يا علي، ما من عبدٍ صلى ليلة النصف..» الحديث بطوله وهو باطل.

ثم زاد الحافظ ابن حجر قال:

أ- وقال ابن صاعد في حديثٍ له، عن الثوري: «هذا منكر».

ب- وأورد له ابن عدي في عدة أحاديث عن الثوري وغيره، وقال: كأنها ليست محفوظة، وهي بواطيل، هي وجميع حديثه، وهو ضعيف جدًا».

جـ- وضعّفه الدارقطني، وقال البرقاني عن الدارقطني: مصري يكذب يروي عن الثقات بواطيل.

د- قال الدارقطني: وسمعت أبا طالب - يعني أحمد بن نصر الحافظ - يقول: قال لي أخو ميمون - واسمه أحمد بن ميمون بن زكريا البغدادي - اتفقنا على أن لا نكتب بمصر حديث ثلاثة هم: علي بن الحسن الشامي، وروح بن صلاح، وعبد المنعم بن بشير.

م- وقال الحاكم، وأبو سعيد النقاش: «روى أحاديث موضوعة».

ن- وقال أبو نعيم: روى أحاديث منكرة، لا شيء. اهـ.

أكثر الوعاظ والقصاص ينقلون الأحاديث من كتاب الترغيب والترهيب دون مراجعة ولا تدقيق ولعدم دراية أكثرهم بمنهاج المحدثين يظن أن الحديث صحيح !!

٣- أورده الإمام ابن حبان في «المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين» (٢/١١٤): «علي بن الحسن السامي من أهل مصر؛ لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب».

٤- وأورده الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٥/٢٠٩، ٣٩٥/١٣٦٣)، وقال: «علي بن الحسن بن يعمر السامي مصري، ثم أورد له عدة أحاديث عن الثوري ثم قال: وهذه الأحاديث عن الثوري بواطيل كلها ليست هي بمحفوظة عن الثوري».

ثم أورد له عدة أحاديث أُخَر ثم قال: «وهذه الأحاديث وما لم أذكره من حديث علي بن الحسن هذا فكلها بواطيل، ليس لها أصل وهو ضعيف جدًا». اهـ.

٥- قال الإمام ابن الجوزي في الموضوعات (٢/١٢٩) حول الحديث الذي جاءت به القصة من حديث عليِّ بن أبي طالب: «هذا حديث لا نشك أنه موضوع وجمهور رواته مجاهيل، وفيهم ضعفاء بمرة، والحديث مُحال قطعًا، وقد رأينا كثيرًا ممن يصلي عدة الصلاة، ويتفق قصر الليل فيفوتهم صلاة الفجر ويصبحون كسالى، وقد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب ونحوها من الصلوات، شبكةً لمجمع العوام، وطلبًا لرياسة التقدم وملأ بذكرها القصاص مجالسهم وكل ذلك عن الحق بمعزل». اهـ.

٦- ولقد أورد هذه القصة: «قصة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعليٍّ ليلة النصف من شعبان» الإمام ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» (٢/٩٢) كتاب الصلاة

ح(٥٢) وأقر قول ابن الجوزي والذهبي.

خامسًا: حديث آخر في صلاة ليلة النصف

هناك حديث آخر عن علي بن أبي مرفوعًا يتخذه المتصوفة ومن لا دراية له من أئمة المساجد بالصناعة الحديثية دليلاً على صلاة النصف من شعبان، بل والأمر بقيام ليلها وصيام نهار:

١- متن الحديث:

يُرْوى عن عليٍّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا من مُبْتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر». اهـ.

٢- التخريج:

الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في «السنن» (ح١٣٨٨) كتاب (٥): «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب (١٩١): «ما جاء في ليلة النصف من شعبان» قال:

حدثنا الحسن بن علي الخَلاَّل، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا ابن أبي سَبْرة عن إبراهيم بن محمد، عن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان...» الحديث.

٣- التحقيق:

هذا الحديث موضوعٌ، علته ابن أبي سَبْرة، واسمه: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة.

أ- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٤٧/٣): «أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة السبري من أهل المدينة كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، لا يحل كتابة حديثه ولا الاحتجاج به بحال، كان أحمد بن حنبل يكذِّبه.

ثم أخرج عن يحيى بن معين قوله: «أبو بكر بن أبي سبرة الذي يقال له الشبري ليس حديثه بشيء».

ب- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٦٦٦): «أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة: متروك الحديث». اهـ.

قُلْتُ: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه؛ حيث بيَّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) حيث قال: «ولهذا كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

جـ- قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢٩٥/٧) (٢٢٠٠/١٢): «أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة مدني».

ثم قال: حدثنا الجنيدي قال: حدثنا البخاري قال: أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة المدني: منكر الحديث.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه؛ حيث قال السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق فيه نظر، وسكتوا عنه، فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

قُلْتُ: ثم أخرج الإمام ابن عدي أحاديث من مناكير وبواطيل أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة ثم ختمها بقوله: «ولأبي بكر بن أبي سبرة غير ما ذكرت من الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، روى عنه ابن جريج أحاديث وهو في جملة من يضع الحديث». اهـ.

د- وأقر هذا كله الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠٠٢٤/٣٠٥/٤)، وأورد لابن أبي سبرة أحاديث من مناكيره بواطيل كلها، ومنها هذا الحديث في ليلة النصف من شعبان.

هـ- وأكثر الوعاظ والقصاص ينقلون الأحاديث من كتاب «الترغيب والترهيب» للإمام الحافظ المنذري تحت باب ما جاء في فضل ليلة نصف شعبان؛ حيث يوجد هذا الحديث في الكتاب «الترغيب والترهيب» (١١٧/٢) تحت رقم (١٤) في الباب، ولعدم دراية أكثرهم بمناهج المحدثين يظن أن الحديث صحيح لذلك يكثر ذكره في الخطب في ليلة النصف من شعبان.

ونذكر باختصار شديد منهج الإمام المنذري فيما يتعلق فقط بالمقبول والمردود حيث قال في «المقدمة»:

١- إذا كان الحديث صحيحًا أو حسنًا أو قاربهما صورته بلفظه: عن.

٢- إذا كان مرسلاً أو منقطعًا أو معضلاً أو في إسناده راو مبهم.. أصدَّره أيضًا بلفظة: عن.

٣- وإذا كان في الإسناد من قيل فيه كذاب أو وضاع أو مُتَّهم أو مُجمَع على تركه أو ضعفه أو ذاهب الحديث أو هالك أو ساقط أو ليس بشيء أو ضعيف جدًّا صدرته بلفظة رُوِيَ (صيغة التمريض).

قُلْتُ: وهذا الحديث صوره الإمام المنذري بلفظه رُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه... الحديث. فليتنبه إليه ولينبه عليه.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

من فتاوى المركز العام

الفتاوى

تجيب عليها اللجنة العلمية لجماعة أنصار السنة المحمدية

>> تفسير معنى أثر <<

س: قرأت هذا الحديث في مجلة التوحيد (العدد ٤٧٤- ص٣٦)، ولم أفهم كامل المعنى: «عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: اعلموا أن الصبر زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سَفَهٌ، والسفر ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شَيْنٌ، ومخالطة أهل الفسق ريبة». [كنز العمال].

فبرجاء توضيحه في عجالة، أثابكم الله.

الجواب: يفيد هذا الأثر أن الصبر ضياء للنفوس والقلوب وخير مساعد على تخطي الصعاب، وحسن الاحتساب.

وأن صفة الوفاء من صفات نبلاء الناس وفضلائهم الذين يعرفون للناس حقهم ولا ينسون جميل من أحسن إليهم. والمروءة هي الشهامة أو مكارم الأخلاق.

وأن فرط التعجل المذموم في كثير من الأمور وترك الحلم والأناة له آثار سيئة ويدل على خفة العقل، وهو مما يدفع إليه الشيطان.

وأن السفر قطعة من العذاب، يترك فيه المسافر بلده وأهله وماله، وتتنغص عليه أوقات راحته ومأكله ومشربه، وقد يتعرض فيه لمهالك وصعاب، لذا كان السفر ضعفًا.

وأن صحبة أصحاب المطامع والأشرار والفساق تسوء الإنسان وتجعله مثلهم، فيتعرض لما يتعرضون له من سوء ظن الناس بهم، وأن يكون محلاً للتهم، وهذا لأن من تشبه بقوم فهو منهم، فليحرص العاقل على صحبة الأخيار الفضلاء، ولينأى بنفسه عن صحبة الأرذال الذين يضرون ولا ينفعون، فالمرء على دين صاحبه.

>>جواز التعامل مع البنوك الإسلامية<<

س: يسأل: طارق محمد:

اشتريت سيارة عن طريق بنك فيصل الإسلامي؛ حيث إن بعض العلماء أجازوا التعامل مع بنك فيصل، وكذلك في إيداع الأموال بفوائد، فما رأي العلماء في ذلك؟

الجواب: التعامل مع بنك فيصل جائز شرعًا، وهذا ما أقرته المجامع الفقهية؛ حيث نصت على جواز التعامل مع البنوك الإسلامية، وأن المعاملات التي تقوم بها هذه البنوك توافق أحكام الشريعة الإسلامية، وعلى ذلك لا تُحسب أخطاء بعض الموظفين على البنك، فإن هيئة الرقابة الشرعية بالبنك لا يتم إدراج أي معاملة إلا بعد موافقتها عليها. والله أعلم.

حكم إطلاق اللحية وحلقها

ما الخلاف في مسألة إطلاق اللحية وحلقها؟ أي أهو خلاف سائغ أم غير سائغ؟

الجواب: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة وهو قول عند الشافعية إلى أنه يحرم حلق اللحية؛ لأنه مناقض للأمر النبوي بإعفائها وتوفيرها، وقد توافرت عبارات فقهاء المذاهب على حرمة حلق اللحية؛ منها قول خاتمة محققي الحنفية ابن عابدين في الأخذ منها دون القبضة: لم يبحه أحد، فالحلق أشد منه، وعلى ذلك فالخلاف في هذه المسألة ليست من الخلاف السائغ، بل حلقها حرام؛ لأن في حلقها تشبهًا بالنساء، وتشبهًا بالمشركين، وطاعة للشيطان الرجيم، ومعصية لله رب العالمين، ومعصية لرسوله صلى الله

حكم الوصية للوارث

س: أمي رحمها الله في آخر أيام حياتها أوصت لأخي الكبير بقطعة أرض من ميراثها الذي تملكه في منزلنا، وأنا وباقي إخوتي نعترض على هذا بحجة أنه لا وصية لوارث، ومن ناحية أخرى أمي رحمها الله في آخر أيامها لم تكن بكامل قواها العقلية، فهل الوصية نافذة أم لا؟ نرجو الإفادة.

الجواب: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوصية لوارث لا تنفذ مطلقًا مهما كان مقدار الموصى به إلا بإجازة الورثة، فإن أجازوها نفذت وإلا بطلت، وإن أجازها بعضهم دون بعض جازت في حصة المجيز، وبطلت في حق من لم يُجز؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أعطى كل ذي حقٍّ حقه، فلا وصية لوارث» [أبو داود ٣٥٦٧ وصححه الألباني].

ولأن في إيثار بعض الورثة من غير رضا الآخرين ما يؤدي إلى الشقاق والنزاع وقطع الرحم وإثارة البغضاء والحسد بين الورثة، وهذا الرأي هو ما أخذ به قانون الأحوال الشخصية في مصر. والله أعلم.

حكم ارتداء الملابس المصنوعة من الحرير الصناعي

س: ما حكم ارتداء الملابس المصنوعة من الحرير الصناعي؟

الجواب: لا حرج في ارتدائها شرعًا، وإن كان بعض الناس يتورعون عن لبسها؛ لأن الأصل الإباحة ولا يجوز القول بحرمة لباس معين إلا بدليل، والله أعلم.

حكم إقامة فرح به منكرات

س: يسأل: محمد فتحي:

أنا شاب مقبل على الزواج وأبي وأمي يرفضان الزواج دون إقامة فرح به من المنكرات ما يعرفه الجميع، وأنا لا أريد إقامة هذا الفرح، فماذا أفعل؟

الجواب: نقول للسائل: عليه أن يَنْصَحُ والديه بأن إقامة مثل هذه الأفراح لا تجوز شرعًا، على أن يتم هذا النصح بالرفق واللين بما يتناسب مع مكانة والديه، وعليهما أن يلتزما بطاعة الله ورسوله.

من أخبار الجماعة

في إطار تواصل المركز العام بالقاهرة بفروع الجماعة قام فضيلة الدكتور / عبدالعظيم بدوي الخلفي، نائب الرئيس العام، يرافقه الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد، الأمين العام، بجولة دعوية لفروع الصعيد شملت (أسوان، والأقصر، وقنا)، ألقى خلالها فضيلة الدكتور/ عبد العظيم بدوي، درس الخميس والجمعة بمسجد الجماعة بأسوان، كما ألقى به خطبة الجمعة، كما ألقى الشيخ/ أحمد يوسف خطبة الجمعة بكومبو بأسوان، وفي يومي السبت والأحد كانت المحاضرات عقب الصلوات بمساجد الجماعة بقنا.

والله الموفق.

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بقرية «أوليلة»- مركز ميت غمر - دقهلية برقم (١٩١٦) بتاريخ ٢٠١١/٥/١٥م طبقًا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م، بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

عزاء واجب

افتقدنا واحدًا من براعم التوحيد، وهو نجل فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب، وجماعة أنصار السنة المحمدية، وأسرة تحرير المجلة يتقدمون لفضيلته بخالص العزاء، داعين الله عز وجل أن يغفر له، وأن يرحمه وأن يلهم أهله الصبر الجميل، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بشرى سارة

تعلن إدارة مجلة التوحيد للإخوة الكرام قراء المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء. لذا نعلن عن استقبال أسئلة القراء عن الفتاوى وكل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى بالجماعة ونشرها بالمجلة: حتى تعم الفائدة؛ وذلك على البريد الإلكتروني التالي:

q.tawheed@yahoo.com

شبهات الشيعة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن الله عز وجل قد بيَّن في كتابه الكريم أن من الناس صنفًا في قلوبهم مرض يتبعون المتشابه من النصوص التي تحتمل معاني متعددة، ويتركون المُحكم الذي لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، يقول جل شأنه: « هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ » *(آل عمران:٧).*

ومن هؤلاء المرضى «الشيعة الرافضة» في كذبهم وافترائهم على أصحاب النبي الأطهار. ومن ذلك قولهم:

١- إن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عليًا رضي الله عنه في العام التاسع من الهجرة أميرًا على الحجيج بعد إرساله لأبي بكر رضي الله عنه بركب الحجيج، وفي هذا إشارة إلى أن عليًا أحق بالخلافة من أبي بكر، رضي الله عنهما.

ولبيان تلك الشبهة نقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم أراد الحج في العام التاسع لكنه قال: «إنه يحضر بالبيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، فأرسل الصدّيق أميرًا على الحج، فلما خرج الصِّديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليًا وأمره أن يلحق بأبي بكر، فخرج على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء، حتى أدرك الصِّديق بذي الحليفة، فلما رآه الصِّديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال عليّ: بل مأمور، ثم سار فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة، كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة، وقد خطب الصِّديق قبل يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر ويوم النفر الأول، وكان يعرّف الناس مناسكهم في وقوفهم وإفاضتهم ونحرهم ونفرهم ورميهم للجمرات، وعلي رضي الله عنه يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة، ثم ينادي في الناس بهذه الأربع: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج بعد العام مشرك. (الحديث مختصرًا متفق عليه).

وكان تكليف النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه بإعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج مراعاةً لما تعارف عليه العرب فيما بينهم من عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للشرع، ولذلك لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم به أرسل عليًا ليقوم بتبليغ صدر سورة براءة، فضلاً عن أن الشيعة ينقلون عن قول الصِّديق لعلي: أمير أم مأمور؟، فقال عليّ: مأمور، والسؤال كيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير يا قوم؟ (راجع: صحيح السيرة النبوية لأبي شهبة ص٦٢٤، والخليفة الأول للصلابي ص٧٨ وما بعدها).

٢- كذب الشيعة الرافضة في قصة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما:

بعد انتهاء معركة صفين سنة ٣٧هـ التي دارت بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه، ووافق الطرفان على التحكيم وعاد عليّ إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام، انتدب عليّ أبا موسى الأشعري وانتدب معاوية عمرو بن العاص للتحكيم والفصل بين الفريقين.

وقصة التحكيم المشهورة والتي زورها الشيعة وكذبوها على الصحابة الأطهار من أن أبا موسى اتفق وعمرو بن العاص على عزل عليّ ومعاوية، فصعد أبو موسى المنبر وقال: إني أنزع عليًا من الخلافة كما أنزع خاتمي هذا، وقام عمرو بن العاص فقال: وأنا أنزع عليًا كما نزعه أبو موسى، كما أنزع خاتمي هذا، وأثبت معاوية كما أثبت خاتمي هذا، فصار اللغط، ثم خرج أبو موسى غاضبًا ورجع إلى مكة ولم يذهب إلى

حول الصحابة الأبرار

إعداد/ أسامة سليمان

عليّ في الكوفة، ورجع عمرو بن العاص إلى الشام. (راجع تاريخ الطبري ٥١/٤، والكامل ١٦٨/٣).

هذه القصة من تزوير الرافضة وكذبهم، مع اشتهارها في كثير من المراجع؛ لأنها تعارض ما ثبت في صحيح البخاري من أن عمرو بن العاص لما جاء التحكيم التقى مع أبي موسى، فقال: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أبو موسى: أرى أن عليًا رضي الله عنه من النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فقال عمرو بن العاص: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ قال أبو موسى: إن يستعن بكما ففيكما المعونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما، ثم انتهى الأمر على هذا، فرجع عمرو بن العاص إلى معاوية بهذا الجزء ورجع أبو موسى إلى عليّ به.

والرواية الأولى المشهورة باطلة لأسباب منها:

١- سندها ضعيف ففيه أبو مخنف الكذاب.

٢- خليفة المسلمين لا يملك أحد عزله، فكيف يعزل باتفاق صحابيين اثنين دون سائر الأمة.

٣- رواية البخاري تبين أن ما وقع أن أبا موسى وعمرًا اتفقا على أن يبقى عليّ في الكوفة وهو خليفة المسلمين، وأن يبقى معاوية في الشام أميرًا عليها. (راجع حقبة من التاريخ لعثمان خميس ١٠٦، ١٠٩).

٣- كذب الشيعة الرافضة بشأن بيعة الصِّديق في سقيفة بني ساعدة (البيعة الخاصة).

حيث قالت الرافضة: إن عمر رضي الله عنه قال عن بيعة الصِّديق: إنها كانت فلتة، وهذا يُعد مطعنًا في البيعة، وكذا في عمر رضي الله عنه.

والجواب: نعم ثبت ذلك عن عمر رضي الله عنه، ولكن ما معنى ذلك القول؟ وماذا يقصد عمر بقوله: إن بيعة الصِّديق كانت فلتة؟

ولبيان المعنى المراد من قول عمر رضي الله عنه نسوق الرواية التي رواها شيخ المحدثين البخاري رحمه الله بشأن بيعة الصِّديق حيث قال عمر: ذهبت مع أبي بكر إلى سقيفة بني ساعدة للأنصار هناك، وكنت قد زوَّرت (أي حضَّرت) مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه سرعة الغضب، وأحببت أن أتكلم أنا مكان أبي بكر فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه.

فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (يقصد عمر وأبا عبيدة بن الجراح) فبايعوا أحدهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غير هذا، فكان والله أن أُقدم فتُضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إليَّ أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، حتى ارتفعت الأصوات، قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيمن حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فسادًا، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه.. (البخاري ٦٨٣٠).

فمن سياق الرواية يتضح مقصود عمر من قوله: إن بيعة الصديق كانت فلتة، أي لم يُعَدّ لها ولم تستغرق وقتًا إنما تمت بتوفيق الله دون ترتيب مسبق، وكفاه قوله: والله لئن أُقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

ثم إن الصحابة لم يكن عندهم حرص على الإمارة، بل كانوا يزهدون فيها، فالصدِّيق يقدم عمر وأبا عبيدة على نفسه، وعمر وأبو عبيدة يعرفان للصديق قدره، فهو الذي قدَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة بالمسلمين في مرض موته، بل كان يستخلفه في الصلاة عند وجود عارض للنبي صلى الله عليه وسلم.

هذه قصة بيعة الصديق في سقيفة بني ساعدة، نعم كانت فلتة، ولكن ليس بالمعنى الذي يفقهه الشيعة الرافضة.

والله من وراء القصد.

كيف يستثمر المسلم وقته؟

إعداد/ صلاح نجيب الدق



الحمدُ للهِ الذي خلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا أما بعد: فإن الوقت له منزلة كبيرة في الإسلام، من أجل ذلك أردت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بقيمة الوقت، فأقول وبالله التوفيق:

أهمية الوقت في حياة المسلم

إن العبد المسلم يعلم أن ما يملكه في هذه الدنيا وقتٌ قصيرٌ وأنفاسٌ محدودةٌ وأيامٌ معدودةٌ، فمن استثمر تلك اللحظات والساعات في أعمال الخير فطوبى له، ومن أضاعها وفرَّط فيها فقد خسر خسرانًا مبينًا. ولأهمية الوقت في الإسلام أقسم الله تعالى ببعض الأوقات ومن المعلوم أن الله تعالى إذا أقسم بشيء، فهذا لبيان أهميته وعظيم منفعته، قال الله تعالى: «وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ» (الضحى: ١ - ٢)، وقال تبارك وتعالى: «وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ» (الليل: ١- ٢) وقال جل وعلا: «وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ» (الفجر: ١- ٢)، وقال الله سبحانه: «وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ» (العصر: ١- ٢)، والمقصود بالعصر هو الزمن، وفي قَسَمه سبحانه وتعالى بالعصر دليل على أن أنفسَ شيء في الحياة هو العمر. هذه الآيات السابقة وغيرها دليل قاطع على شرف الوقت.

تنبيه مهم:

إن لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وأما العبد فلا يجوز له أن يحلف بغير الله تعالى، فيحرم على المسلم أن يحلف بالنبي، أو بالولي، أو بالأمانة أو بالنعمة،أو ما شابه ذلك.

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ: سَمِعَ عبدُ الله بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما رَجُلاً يَحْلِفُ: لاَ وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ.(حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٧٨٧).

موقفان للعبد

أخي المسلم الكريم، إن من جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره وقيمة العمل فيه ولكن بعد فوات الأوان. وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم.

الموقف الأول:

ساعة الاحتضار، حين يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنحَ مهلة من الزمن؛ ليصلح ما أفسد ويتدارك ما فات، وفي هذا يقول الله تعالى: « وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ » (المنافقون: ١٠ - ١١).

وقال سبحانه أيضًا: « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ » (المؤمنون: ٩٩: ١٠٠)، هكذا تكون أمنية أهل المعاصي ساعة الاحتضار.

الموقف الثاني:

حيث تُوفى كل نفس ما كسبت، ويدخل أهل الطاعة الجنة، وأهل المعصية النار، هناك يتمنى أهلُ النارِ لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدؤوا من جديد عملاً صالحا، و لكن لا فائدة مما يطلبون، فقد انتهى زمن العمل، وجاء زمن الجزاء، قال الله تعالى: « وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ

فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» (فاطر: ٣٦ - ٣٧)، وهكذا انقطعت حجج أهل النار بهذا السؤال التقريعي. (الوقت في حياة المسلم ص ١٥-١٦).

وهكذا يكون مصير الذين أضاعوا أعمارهم في الكفر وفساد العقيدة والأعمال الفاسدة.

لكل وقت عمله:

جاءت شعائر الإسلام لتؤكد قيمة الوقت وأن لكل عمل وقتًا معينًا لا يُقبل إلا فيه، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

(١) الصلوات المفروضة:

يقول الله تعالى عن الصلوات الخمس «إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا» (النساء: ١٠٣).

إن لكل صلاة من الصلوات الخمس وقتًا لا تقبل إلا فيه إلا إذا كان هناك عذر شرعي، كالمرض، والسفر، والنوم، والنسيان، فإن الصلاة في هذه الأحوال لها أحكام خاصة.

(٢) صوم الفريضة:

إن الصوم هو أحد أركان الإسلام الخمسة، ويكون في شهر رمضان، قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (البقرة: ١٨٥)، وهكذا حدَّد الشرع الشريف صوم الفريضة في شهر رمضان المبارك.

وقت الصوم:

قال تعالى: «وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ» (البقرة: ١٨٧).

(٣) الحج: يقول الله تعالى محددًا وقت الحج: «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ» (البقرة: ١٩٧)، وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة.

الوقت في السُّنة:

اهتمت السُّنة المطهرة ببيان قيمة الوقت وأهميته تأكيدًا لما جاء في القرآن الكريم، وجاءت أحاديث كثيرة تتحدث عن الوقت ومكانته في حياة المسلم، وأنه رأس مال العبد في هذه الحياة الدنيا.

(١) عَنْ عبد الله بْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ». (البخاري حديث ٦٤١٢).

قال ابْنُ الْجَوْزِيّ: قَدْ يَكُونُ الإِنْسَان صَحِيحًا وَلاَ يَكُون مُتَفَرِّغًا لِشُغْله بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُون مُسْتَغْنِيًا وَلاَ يَكُون صَحِيحًا، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَل عَنْ الطَّاعَة فَهُوَ الْمَغْبُون، وَتَمَام ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَة الآخِرَة، وَفِيهَا التِّجَارَة الَّتِي يَظْهَر رِبْحهَا فِي الآخِرَة، فَمَنْ اسْتَعْمَلَ فَرَاغه وَصِحَّته فِي طَاعَة اللَّه فَهُوَ الْمَغْبُوط، وَمَنْ اسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَة اللَّه فَهُوَ الْمَغْبُون، لأَنَّ الْفَرَاغ يَعْقُبهُ الشُّغْل وَالصِّحَّة يَعْقُبهَا السُّقْم. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/ ٢٣٤).

(٢) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ». (حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٧٠).

(٣) عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (أخرجه الحاكم، وهو في صحيح الجامع للألباني حديث ١٠٦٣).

قتلة الوقت:

أخي المسلم الكريم، إن مما يدمي القلب، ويمزق الكبد أسىً وأسفا: ما نراه اليوم عند المسلمين من إضاعة للأوقات، فاقت حد التبذير إلى التبديد، والحقُّ أن السفه في إنفاق الأوقات أشد خطرًا من السفه في إنفاق الأموال، وإن هؤلاء المبذرين لأوقاتهم لأحق بالحَجْر عليهم؛ لأن الوقت إن ضاع فلا عوض له. ومن العبارات التي أصبحت مألوفة لكثرة ما تدور على الألسنة وما تُقال في المجالس والأندية عبارة (قتل الوقت). فترى هؤلاء المبذرين أو المبددين يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد أو رقعة الشطرنج أو لعبة الورق، أو غير ذلك - مما يحل أو يحرم - لا يبالون، لاهين عن ذكر الله وعن الصلاة وعن واجبات الدين والدنيا، فإذا سألتهم عن عملهم هذا وما وراءه من ضياع، قالوا لك بصريح العبارة: إنما نريد أن نقتل الوقت! ألا يعلم هؤلاء المساكين أن من قتل وقته، فقد قتل في الحقيقة نفسه! (الوقت في حياة المسلم ص١٨).

حرص سلفنا الصالح على الوقت:

(١) قال عمر بن الخطاب: إني لأكره أن أجد أحدكم سَبَهْللاً (أي فارغا) لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة.

(٢) قال عبد الله بن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غَربت شمسه ونقص فيه

أجلي ولم يزد فيه عملي.

(٣) قال عمر بن عبد العزيز: إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما.

(٤) قال الحسن البصري: يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

وقال أيضًا: أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم. (قيمة الزمن عند العلماء ص٢٧).

(٥) قالت حفصة بنت سيرين: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

تنظيم الوقت:

يجب على المسلم الواعي أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض ولا يطغى غير المهم على المهم، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يُبادر به. وأحوج الناس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من أصحاب المسئوليات، كولاة الأمور وأهل العلم، وذلك لصلاح أحوال العباد والبلاد. (الوقت في حياة المسلم ٢٢ /٢٤).

الأبناء والفراغ:

من المعلوم أنه يوجد الكثير من طلبة المدارس يقضون أجازة صيفية طويلة، فهل تساءل الآباء كيف يقضي الأبناء هذا الوقت الطويل بما يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم؟

إن من حُسْن التربية أن يعتاد الأبناء منذ نعومة أظفارهم على الاستفادة من الأوقات بما هو مفيد حتى يتعودوا على ذلك.

قال عبد الله بن عبد الملك بن مروان: كنا مع أبينا في موكبه فقال سبحوا حتى تلك الشجرة، فنسبح حتى نأتيها، فإذا رُفعت لنا شجرة أخرى قال كبروا حتى تلك الشجرة، فكان يصنع بنا ذلك. (الوقت أنفاس لا تعود ص٥٢).

قال ابن الجوزي في رسالته اللطيفة التي نصح بها ولده بحفظ الوقت وسماها (لَفْتَة الكبد في نصيحة الولد): (اعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسًا، وكل نفس خزانة فاحذر أن يذهب نَفَسٌ بغير شيء، فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم!

وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تودعها إلا إلى أشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك وعوِّدها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه. (قيمة الزمن عند العلماء ص٦٢).

كيف يستثمر المسلم وقته؟

لقد ذكر أهل العلم طرقًا كثيرة لاستثمار الوقت، يمكن أن نجملها فيما يلي:

(١) التفقه في الدين وحفظ القرآن الكريم:

يجب على المسلم أن يستثمر وقته بطلب العلوم الشرعية بقدر استطاعته وليعلم أن الوقت الذي يقضيه في طلب العلْم يكون في ميزان حسناته يوم يقوم الناس لربِّ العالمين.

قال جلَّ شانه: «يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» (المجادلة: ١١).

وقال تعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (التوبة: ١٢٢).

وقد حثنا نبينا صلى الله عليه وسلم على التفقه في الدين.

فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما قال:قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ. (البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». (مسلم حديث: ٢٦٩٩).

وينبغي أن نعلم أن الفقه في الدين يبدأ بحفظ القرآن والمداومة على تلاوته، ومعرفة أحكام التلاوة الصحيحة كما هو دأب أهل العلم من سلفنا الصالح.

عَنْ عُثْمَانَ بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ. (البخاري حديث ٥٠٢٧).

(٢) الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة ونشر العلم النافع:

إن الدعوة إلى الله تعالى مجالٌ خصب لاستثمار الوقت، فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين

وهي أفضل الأعمال بعد توحيد الله تعالى والإيمان به؛ لأنها سبب في هداية الخلق إلى الله تعالى، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ» (فصلت: ٣٣).

ولقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نشر العلم في كثير من أحاديثه الشريفة، ومنها:

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فقه

لَيْسَ بِفقيه. (حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني حديث ٢١٣٩).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. (مسلم حديث ١٦٣١).

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ. (البخاري حديث ٤٢١٠، مسلم حديث٢٤٠٦).

(٣) عمارة المساجد وذكر الله:

إن عمارة بيوت الله تعالى بالمحافظة على الصلوات المفروضة ومدارسة حلقات العلم النافع وغير ذلك من الطاعات، التي ترفع شأن صاحبها عند الله تعالى، باب عظيم للمسلم الواعي لاستثمار وقته. يقول الله تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ» (التوبة: ١٨).

وعمارة المساجد تشمل أيضا بناءها وتعاهدها بالنظافة وتوفير الماء للمصلين وإعداد الفُرُش ورفع الأذان في وقته وغير ذلك.

إن ذكر الله تعالى على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم من أوسع الأبواب لاستثمار المسلم لوقته. ولقد أرشدنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه العزيز إلى ضرورة استثمار الوقت في ذكره، كما قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» (الأحزاب: ٤١- ٤٣).

ولقد حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على استثمار الوقت في ذكر الله تعالى، وذلك من خلال أحاديث نذكر منها ما يلي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. (البخاري حديث ٧٤٠٥، مسلم حديث٢٦٧٥).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ. (حديث صحيح، صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٣٠٥٧).

(٤) قضاء حوائج المسلمين:

يمكن للمسلم أن يستثمر وقته في قضاء حوائج إخوانه المسلمين.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. (مسلم حديث ٢٦٦٩).

وينبغي للمسلم أن يشفع لإخوانه المسلمين من أجل قضاء حوائجهم. قال تعالى: « مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا » (النساء: ٨٥).

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ.(البخاري حديث ٦٠٢٨، ومسلم حديث٢٦٢٧).

والإصلاح بين الناس من أبواب قضاء حاجات المسلمين، قال الله تعالى: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (الحجرات: ١٠).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ. (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث ٤١١١).

(٥) ممارسة الرياضة المفيدة:

يستطيع المسلم أن يستثمر بعضًا من وقته في ممارسة الرياضة المفيدة بما يعود عليه بالنفع ويساعده على بناء جسم قوي ويروح عن نفسه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل مع أصحابه الكرام، ويُشترط في الرياضة التي يمارسها المسلم أن تكون مما أباحه الشرع الحنيف،ولا تجبر المسلم على كشف شيء من عورته وألا تضيع أداء الصلوات المفروضة في الجماعة الأولى في المساجد.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ. (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٢٤٨).

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب الفقه

صيام شعبان

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

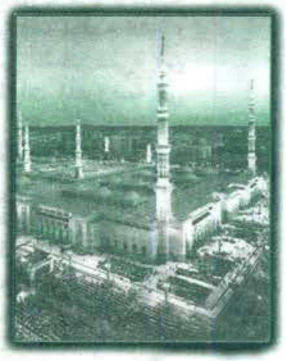
فشهر شعبان من الشهور التي خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة من أعظم العبادات؛ وهي الصيام، فكان يصوم من شعبان ما لا يصوم من غيره من الشهور، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان». زاد البخاري (١٩٧٠) في رواية: «كان يصوم شعبان كله».

ولمسلم (١١٥٦) في رواية: «كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً».

والصيام - كما نعلم - من العبادات التي رفع الله قدرها بشرف النسبة إليه، حيث قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ..» (متفق عليه).

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين أكثر من الصيام في شعبان أبان لنا الحكمة في ذلك، فقد روى حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم الأيام يسرد حتى نقول: لا يفطر، ويفطر الأيام حتى لا يكاد يصوم إلا يومين من الجمعة، إن كانا في صيامه وإلا صامهما، ولم يكن يصوم من الشهور ما يصوم من شعبان، فقلت: يا رسول الله، إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر، وتفطر حتى لا تكاد تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما؟ قال: أي يومين؟ قلت: يوم الاثنين ويوم الخميس، قال: ذانك يومان تُعرض فيهما الأعمال على رب العالمين وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم. قلت: ولم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع الأعمال فيه إلى رب العالمين عز وجل، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم. (مسند أحمد ٢١٨٠١ والنسائي ٢٣٥٧ مختصرًا وحسنه الألباني).

قال ابن رجب: في حديث أسامة معنيان: أحدهما: أنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان. يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام، اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولاً عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيامه؛ لأنه شهر حرام وليس كذلك، وفي قوله: «يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان». إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه، إما مطلقًا أو لخصوصية فيه لا يتفطن لها أكثر الناس فيشتغلون بالمشهور عنه ويفوتون تحصيل فضيلة ما ليس بمشهور عندهم. (لطائف المعارف: ١/١٣٧).



قُلْتُ: والمعنى الثاني الذي لم يذكره ابن رجب -رحمه الله- هو الذي جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: وهو شهر تُرفع الأعمال فيه إلى رب العالمين عز وجل، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم. وهناك حِكَم أخر ذكرها أهل العلم ليس محل ذكرها هاهنا.

وقد دلت الأحاديث السابقة على عظم فضل شهر شعبان وعلى استحباب صيامه، ولكن هناك أيام في شهر شعبان اختلف العلماء في حكم صيامها كيوم النصف من شعبان، ويوم الشك، والنصف الثاني من شهر شعبان، وسوف نبدأ في بيان حكمها فيما يلي:

أولا: صيام يوم النصف من شعبان:

أما صيام يوم النصف منه فغير منهي عنه، فإنه من جملة أيام البيض الغر المندوب إلى صيامها من كل شهر التي وردت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد». (مسلم ٧٢١).

وهو أيضا يندرج تحت عموم استحباب شهر شعبان، وقد ورد الأمر بصيامه من شعبان بخصوصه، ففي سنن ابن ماجه بإسناد ضعيف: عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: إذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا، فيقول: ألا مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر. وهذا الحديث لا يصح التعويل عليه، فإن صيام النصف من شعبان على جهة الخصوص ليس من السنة في شيء.

ثانيًا: صيام النصف الثاني من شهر شعبان:

قطع كثير من الشافعية بأن ابتداء المنع من أول السادس عشر من شعبان، واستدلوا بحديث العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا». (أبو داود ٢٣٣٧ وصححه الألباني).

وقال الروياني من الشافعية: يحرم التقدم بيوم أو يومين؛ لحديث الباب، ويكره التقدم من نصف شعبان للحديث الآخر، وقال جمهور العلماء: يجوز الصوم تطوعًا بعد النصف من شعبان، وضعفوا الحديث الوارد في النهي عنه، وقد قال أحمد وابن معين: إنه منكر، وقد استدل البيهقي على ضعفه بحديث الباب، وكذا صنع قبله الطحاوي، واستظهر بحديث عمران ابن حصين ...... «من سرر شعبان» قال أبو عبيدة والجمهور: المراد بالسرر هنا آخر الشهر، سميت بذلك لاستسرار القمر فيها وهي ليلة ثمان وعشرين وتسع وعشرين وثلاثين، ونقل أبو داود والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز أن سرره أوله، ونقل الخطابي عن الأوزاعي كالجمهور، وقيل: السرر وسط الشهر». (نيل الأوطار للشوكاني ٤٤٩/٤).

واستدلوا بحديث: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين» (مسلم ١٨٠٢). فإن مفهومه جواز التقدم بأكثر من يومين، وقال الأثرم في الرد على استدلال الشافعية بحديث: «إذا انتصف شعبان..». الأحاديث كلها تخالفه، يشير إلى أحاديث صيام النبي صلى الله عليه وسلم شعبان كله ووصله برمضان، ونهيه عن التقدم على رمضان بيومين، فصار الحديث حينئذٍ شاذًا مخالفًا للأحاديث الصحيحة.

وقال القرطبي: الجمع بين الحديثين ممكن بجعل النهي على من ليست له عادة بذلك، وحمل الأمر على من له عادة، وهذا هو الظاهر، وقد استثنى من له عادة في حديث النهي بقوله: «إلا أن يكون رجل كان يصوم صومًا فليصمه» (مسلم ١٠٨٢). فلا يجوز صوم النفل المطلق الذي لم تَجْرِ بها عادة، وأما قول المصنف أنه يحمل على التقدم بأكثر من يومين فغير ظاهر؛ لأن حديث العلاء بن عبد الرحمن المتقدم يدل على المنع من صوم النصف الآخر من شعبان، وقد جمع الطحاوي بين حديث النهي وحديث العلاء بأن حديث العلاء محمول على من يضعفه الصوم، وحديث الباب مخصوص بمن يحتاط بزعمه لرمضان، قال الحافظ في الفتح: وهو جمعٌ حسن. (نيل الأوطار ٢٤٩/٤).

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في محاولة التقريب بين آراء الأئمة: والدليل على أنه يجوز الصوم بعد منتصف شعبان: أن حديث العلاء: إذا انتصف شعبان فلا تصوموا. أقوى ما قيل: إنه حسن، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيح: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين إلا رجلا كان يصوم صومًا فليصمه». فهذا الحديث ثابت لا غبار عليه، فمن أجاز الصوم بعد منتصف شعبان يقول: معنى ذلك أننا لو تقدمنا رمضان بثلاثة أيام أو أربعة فلا حرج؛ لأن الذي مُنع اليوم واليومان فدخل منتصف شعبان الأخير تحت هذا الأصل الصحيح العام، فنقول بالصوم بعد منتصف شعبان لمن يتقوى بذلك على صيام الفريضة، ونمنع من صومه لمن يضعفه عن صوم الفريضة، وبهذا أعطى لكل ذي حق حقه، وحق مقصود الشرع، والنظر إلى معاني الأدلة والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (شرح زاد المستقنع ١٩/٢٨٣).

ثالثاً: صوم يوم الشك:

يوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان إذا تردد الناس في كونه من رمضان، وللفقهاء عبارات متقاربة في تحديده، واختلفوا في حكمه، مع اتفاقهم على عدم الكراهة وإباحة صومه إن صادف عادةً للمسلم بصوم تطوع كيوم الاثنين أو الخميس. [الفقه الإسلامي وأدلته: وَهْبَة الزُحَيْلِيّ ١٦/٣].

فقال الحنفية: حكمه: أنه مكروه تحريماً إذا نوى أنه من رمضان أو من واجب آخر. وقال المالكية حكمه: أنه يكره صومه للاحتياط على أنه من رمضان، ولا يجزئه صومه عن رمضان، وجاز صومه لمن اعتاد الصوم تطوعاً سرداً أو يوماً معيناً كيوم الخميس مثلاً، فصادف يوم الشك، كما جاز صومه تطوعاً، وقضاء عن رمضان سابق، وكفارة عن يمين أو غيره، ولنذر يوم معين.

وقال الشافعية حكمه: أنه يحرم ولا يصح التطوع بالصوم يوم الشك، ولقول عمار بن ياسر رضي الله عنه: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم».

وحكمة التحريم: توفير القوة على صوم رمضان، وضبط زمن الصوم وتوحيده بين الناس، دون زيادة. ويجوز صوم يوم الشك عن القضاء والنذر والكفارة، ولموافقة عادة تطوعه، ونحوه مما له سبب يقتضي الصوم، على الأصح مسارعة لبراءة الذمة، فيما عدا الاعتياد، وعملاً في الإعتياد بالحديث المتقدم: «... إلا رجل كان يصوم صوماً، فليصمه».

والخلاصة أن صوم يوم الشك مكروه عند الجمهور، حرام عند الشافعية. [الفِقْهُ الإسلاميُ وأدلتُهُ: وَهْبَة الزُحَيْلِيّ ١٦/٣].

وظاهر المذهب عند الحنابلة أنه يجب صومه، فإذا ثبت أنه من رمضان فإنه يجزئ؛ لأنهم صاموه بنية الاحتياط. (شرح زاد المستقنع الشيخ الحمد ١/٥) واستدلوا على ذلك بحديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ذكر رمضان فقال: لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له.

وفسروا قوله: "فاقدروا له" بمعنى: ضيقوا على شعبان، فقدروه تسعة وعشرين يوماً. وهذه الرواية عن الإمام "أحمد" من المفردات. [تيسر العلام شرح عمدة الأحكام ٢٨٢/١].

قال ابن الجوزي في التحقيق: ولأحمد في هذه المسألة -وهي إذا حال دون مطلع الهلال غيم أو غيره ليلة الثلاثين من شعبان- ثلاثة أقوال:

أحدها: يجب صومه على أنه من رمضان. وثانيها: لا يجوز فرضا ولا نفلا مطلقا، بل قضاء وكفارة ونذرا ونفلا يوافق عادة. ثالثها: المرجع إلى رأي الإمام في الصوم والفطر [نيل الأوطار - الشوكاني ٤/ ٥٧٢].

قال أبو عمر ابن عبد البر: جعل مالك - رحمه الله - حديث عبد الله بن عباس أن رسول الله ذكر رمضان فقال: لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدد (العدة) ثلاثين. بعد حديث ابن عمر؛ لأنه عنده مفسَّر له ومبيِّن لمعنى قوله فاقدروا له في حديث ابن عمر وما رواه ابن عباس عن النبي قد رواه أبو هريرة وأبو بكرة وحذيفة وغيرهم، ولم يرو أحد فيما علمت (فاقدروا له) إلا ابن عمر وحده والذي عليه جمهور أهل العلم أنه لا يُصام رمضان إلا بيقين من خروج شعبان، واليقين في ذلك رؤية الهلال أو إكمال شعبان ثلاثين يومًا، وكذلك لا يقضى بخروج رمضان إلا بيقين مثله.

والذي ذهب إليه مالك هو الذي عليه جمهور العلماء وهو الصحيح (الاستذكار ج:٣ ص:٢٧٥).

واستحب ابن عباس وجماعة من السلف - رحمهم الله - أن يفصلوا بين شعبان ورمضان بفطر يوم أو أيام كما كانوا يستحبون أن يفصلوا بين صلاة الفريضة والنافلة بكلام أو قيام أو مشي، أو تقدم أو تأخر من المكان . [الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ٣٣٣/٣].

وقد حقق " ابن القيم" هذا الموضوع في كتابه "الهدي" ونصر قول الجمهور، ورد غيره، وبيَّن أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة قول صريح، إلا عن ابن عمر الذي مذهبه الاحتياط والتشديد. (زاد المعاد ٢/٥).

قلت: وللشوكاني كلام جامع نختم به الحديث عن صوم يوم الشك حيث قال: الوارد في هذه الشريعة المطهرة أن الصوم يكون للرؤية أو لكمال العدة، ثم زاد الشارع هذا بيانًا وإيضاحًا، فقال: فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا. فهذا بمجرده يدل على المنع من صوم يوم الشك، فكيف وقد انضم إلى ذلك ما هو ثابت في الصحيحين وغيرهما من نهيه صلى الله عليه و سلم لأمته عن أن يتقدموا رمضان بيوم أو يومين، فإذا لم يكن هذا نهيًا عن صوم يوم الشك، فلسنا ممن يفهم كلام العرب ولا ممن يدري بواضحه فضلاً عن غامضه، ثم انضم إلى ذلك حديث عمار بلفظ (من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم) قال ابن عبد البر: هذا مسند عندهم لا يختلفون فيه. [السيل الجرار - الشوكاني ١١٥/٢].

والحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

لماذا التوحيد؟

إعداد: الشيخ
محمد عبد المجيد الشافعي
- رحمه الله -

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

يروي البخاري (٣٢١٠) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان (السحاب) فتذكر الأمر قُضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم».

من هذا يبدو لك أن هؤلاء الشياطين من الإنس يتخذون من شياطين الجن عونًا على التغرير بالناس والإيقاع بينهم في حبائل الشرك؛ حيث تدخل على الواحد منهم فيطرق إطراقة وينتظر فترة، ثم يحدثك بما هو واقع في بيتك أو بينك وبين زوجك، فتظن أنه يعلم الغيب مع الله، فتشرك بالله من حيث لا تشعر، وبهذا الظن تكذّب صريح القرآن الذي يؤكد في غير موضع أن الغيب كله لله، حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، بدليل قول الله سبحانه: «قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ» (الأعراف:١٨٨)، وكثير من الناس يظن أن الجن يعلمون الغيب، فيشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وإذا كان الرسول الأعظم والنبي الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب فكيف بالجن يعلمون الغيب؟!

مع أن القرآن الكريم يحكي لنا أنهم لا يعلمون الغيب، بدليل قول الله تعالى حكاية عن الجن مع سليمان عليه السلام فيقول: « فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ » (سبأ:١٤)، كل هذه الآيات والأحاديث التي ذكرناها، وغيرها كثير إنما الغاية منها أن يعلم الناس أن الله وحده هو الذي يعلم الغيب ولا يُطلع على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول، وأنه عندما يُطلع الرسل على بعض الغيب إيقانًا بنبوتهم وتصديقًا لرسالاتهم، أما غير الأنبياء الذين يدّعون علم الغيب، فهم دجالون يجب على الأمة أن تحذرهم وعلى الشعب أن يلفظهم.

أما السلطان الروحي من الإنسان على أخيه الإنسان فهو البلية العظمى والطامة الكبرى التي أودت بعز المسلمين، وقضت على مجد الإسلام، وقوضت بنيانه، وهدمت أركانه.

وهو الذي إذ درسته أنصار السنة المحمدية ووقفت من التاريخ على أثره الخطير وشره المستطير، ففزعت إلى المسلمين في بقاع الأرض تحذّرهم من الوقوع فيه والاستمرار في تعاطيه.

فهو - أي السلطان الروحي- إفك أعظم بما يكون الإفك، بل هو الضلال والشرك وهو الرق أعنف ما يكون الاستعباد والرق، وهو الذي يعمد به الأشياخ إلى المريد لسلب إرادته وهدم شخصيته؛ حيث يطلبون منه ألا يفكّر ولها مدبر، وينفثون في روعه بكلمات وتمتمات تبدو وكأنها كلمات الأبرار، وهي في حقيقتها كلمات تحمل في طياتها الخراب والدمار

وهو الذي يطالب المريد أو التابع أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي الغاسل فيمسخه ويحيله من صفاته كإنسان ويجعله كالحيوان ينصاع لصاحبه يجره بحبل في عنقه كيف يشاء لا يدري إلى أين المصير؟

ومن ثم فهو يفضي بالتابعين والمريدين إلى التقليد، والتقليد منزلق إلى البلادة وتوقف العقل وتعطل الفكر وركود الذهن.

وبه أي السلطان الروحي تسلط أولئك الذين اتخذوا الدين حرفة وباعوه بضاعة مزجاة في شكل عهود وحُجُب وتمائم على مريديهم وأتباعهم حتى يجعلوا أفئدتهم هواء (خاوية) إلا من الخضوع لهم والذل أمامهم أكثر من الذل بين يدي الله والخوف منهم كيلا يعطبوهم أو يعيبوهم بالسوء.

وهم يصدونهم عن كتاب الله حتى لا تتفتق أذهانهم ولا تفقه قلوبهم ولا تنفتح أعينهم على الحقيقة الكبرى، وهي أن الملك لله وحده يتصرف فيه كما يشاء ويفعل ما يشاء: «لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ» (الأنبياء:٢٣)، ألا تراهم يوهمون البسطاء والجهلاء بعدم قراءة القرآن بزعم أن من لحن فيه فقد كفر، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» (متفق عليه).

وليت الأمر كذلك وحسب، بل إنهم في الوقت الذي يمنعونهم من قراءة القرآن يأمرونهم بتلاوة الياقوتة والوظيفة وما لم ينزل الله به سلطانًا، ثم هم بعد ذلك يذكرون كرامات الأوتاد والأبدال والأقطاب، وتصرفاتهم في الخلق والكون بما يفزع قلوب المريدين، ويصور الأشياخ من هؤلاء بصورة المتصرفين في الكون من دون الله، فتذل لهم النفوس وتخشع لهم القلوب.

وهاك ما يقوله إبراهيم الدسوقي عن نفسه: «أنا الله قال لي يوم ولادتي هذا يوم الاثنين فعليك بالصوم يا إبراهيم». حاشا لله ومعاذ الله أن يكلم الله إبراهيم الدسوقي تكليمًا، فإنه أخبرنا أنه تعالى كلم موسى تكليمًا فقط، وأنه لا يوحي إلا إلى الأنبياء.

وهذا أبو السعود يقول لأصحابه: «إن الله أعطانا التصرف منذ خمس عشرة سنة». وتركناه تظرفًا.

وإليك ما يقوله قطب الواصلين - بزعمهم - عبد العزيز الدباغ: «إن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت وما يقع فيه إلى مثله من الغد فهم رضي الله عنهم - هكذا يقول - يتكلمون في قضاء الله تعالى في المستقبل ولهم التصرف في العوالم كلها علوية وسفلية، وحتى في الحجب السبعين- فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله - يعني في الملائكة - وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف».

أقول: فبئس ما يفترون!!

بل إن الغزالي - غفر الله له - يحكي لك في الجزء الثاني من كتابه إحياء علوم الدين أن أبا تراب يقول لأحد الناس من تابعيه ومريديه: «لأن ترى البسطامي مرة خير من أن ترى الله سبعين مرة».

ويقول عبد الكريم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل: إن العبد إذا ترقى في المرتبة الكونية إلى المرتبة القدسية وكشف له عن الله علم أن ذات الله عين ذاته.

ويقول عن الولي: وليس للولي علم الله وحده، بل للولي كل صفة من صفات الله. فالولي منهم خير وأعظم من رسول الله الذي يقول الله له في القرآن: «قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ» (الأعراف:١٨٨)، بل الولي منهم هو ذات الله وله علم الله وصفاته ومن هنا جاء إسقاط الفرائض؛ لأن الواحد منهم إذا وصل - يعني اتحد بالله (الاتحادية) - يسقط عنه التكليف كما يقول أحد زعماؤهم:

العبد رب والرب عبد
يا ليت شعري مَن المكلف؟!
إن قلت عبد فذاك رب
وإن قلت رب فأنَّى يُكلف

كما يزعم سيدهم عبد الكريم الجيلي في نفس كتابه أن الطبائعية والفلاسفة والمجوس والدهرية والبراهمة واليهود والنصارى والمسلمين كلهم على حق، وكل هذه الطوائف تعبد الله على ما يجب أن يكون.

ثم يسف أولئك كل الإسفاف فيحاولون عن طريق السلطان الروحي أن يوهموا المريدين والتابعين لهم أنهم قد كشف عنهم الحجاب وأن أحدًا لا يستطيع أن يصل إلى الله إلا عن طريقهم.

ألا تراهم بهذا يحاولون ما استطاعوا أن يصدوا الناس عن كتاب الله إلى كتبهم ويصرفونهم إلى أقطابهم ويجعلوا منهم آلهة تُعبَد من دون الله ويفرضوا عليهم سلطانهم الروحي فيقتلون فيهم روح الجد إلى الاستكانة والذل والتواكل والاستسلام لهم فلا يتصرف في شيء إلا بأمر شيخه، حتى إن الاستعمار قد استعان بهم فأشاعوا في البلاد وأعلنوا بين العباد أن الاستعمار الفرنسي لم يقع إلا بأمر الله وعلى عباد الله أن يستسلموا لأمر الله!!

ألا إن السلطان الروحي أشد خطرًا وأعظم بأسًا من الاستعمار الحديدي؛ لأن الأول إنما يستعمر الأرواح ويستعبد الأنفس ويستذل القلوب فتخنع وتخشع أمام سلطان الأشياخ على العكس من الاستعمار الحديدي الذي يستفز النفوس ويستنهض الهمم ويغرس البغضاء في قلوبهم تجاه المحتلين حتى تكون الثورة على المستعمر المستبد.

وللحديث بقية إن شاء الله.

أعمال البنوك والمصارف

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

قبل الحديث عما جاء تحت هذا العنوان، أحب أن أذكر أمرًا مهمًا، وهو أن الدكتور محمد سيد طنطاوي - رحمه الله - جمع بين البنوك الربوية والبنوك الإسلامية في تناوله لهذا الموضوع، وكأنه لا فرق بينهما، ولا شك أن عدم العلم بأعمال البنوك يمكن أن يؤدي إلى هذا الخلط غير المقبول، وهو كالخلط بين الجاهلية والإسلام، والربا والبيع، ولو قرأ أي كتاب في أعمال البنوك لأحد الأساتذة المتخصصين، ثم قرأ الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية، لعرف الفرق الشاسع بين البنوك الربوية والأخرى الإسلامية من الناحيتين العلمية والعملية، فمن أراد فتح حساب للاستثمار في المصارف الإسلامية فإنه يوقع على عقد مضاربة شرعية، يفوّض المصرف في استثمار المال بما لا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية، وللمصرف نسبة في المائة من صافي الربح كعامل مضاربة، وصاحب رأس المال له باقي النسبة المئوية من الربح، وإن حدثت خسارة بدون تقصير وتفريط من عامل المضاربة فإن العامل يخسر من جنس مشاركته، وهو العمل، فلا يأخذ شيئًا مقابل عمله، وصاحب رأس المال يتحمل خسارة المال، هذا هو العقد الرئيس الذي يحدد علاقة صاحب رأس المال بالمصرف الإسلامي، والأموال التي تُعد أمانة تحت يد المصرف الإسلامي كي يستثمرها بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية؟

بيان هذا يطول جدًا، ولكن يمكن أخذ صورة عامة بمعرفة العقود التي تتعامل بها: فمنها عقد الشراء وعقد البيع مرابحة، والبيع مساومة، والإجارة، والاستصناع، والشركة المنتهية بالتمليك، والمضاربة؛ حيث يكون المصرف هنا صاحب رأس المال.. إلخ.

وأضرب مثلاً لتوضيح الفرق بين البنوك الربوية والمصارف الإسلامية؛ تاجر يريد استيراد سلعة بمائة ألف، غير أنه لا يستطيع أو لا يريد أن يدفع الثمن إلا بعد سنة؛ فإن ذهب إلى البنك الربوي، وطلب فتح اعتماد مستندي لاستيراد هذه السلعة، فإن البنك الربوي يقرضه ما يريد بشرط واحد فقط هو تقديم الضمانات التي يرى البنك أنها تكفي لأداء أصل القرض وفائدته الربوية، فإذا تم تقديم ما يضمن استرداد القرض مع الزيادة الربوية قام البنك بفتح الإعتماد باسم التاجر، وحمّله المصاريف والأجر، ويقوم المُصَدِّرُ بتصدير السلعة للتاجر، وترسل المستندات للبنك، ليقوم بتسليمها للتاجر، فالبنك إذن يقتصر دوره على إرسال الثمن، وتسليم المستندات، ولا شأن له بالسلعة ذاتها.

أما إذا ذهب نفس التاجر إلى المصرف الإسلامي فلا بد أن يتأكد:

أولاً: من أن السلعة حلال وليست حرامًا، فليست خمرًا، ولا آلات لمصنع خمر، أو أشياء للملهى ليلى.. إلخ، وهذا ما لا ينظر إليه البنك الربوي على الإطلاق.

فإذا اطمأن المصرف الإسلامي أخبر التاجر بأنه لا يقرض، ولكنه يمكن أن يقوم باستيراد السلعة لنفسه أولاً، وبعد وصولها يبيعها له مرابحة أو مساومة، فإذا وافق التاجر قام المصرف بفتح الاعتماد المستندي لصالحه هو، وليس باسم التاجر، ويقوم بدفع الثمن، ويتحمل جميع التكاليف، كما يتحمل مخاطر الاستيراد، وبعد وصول السلعة، ودخولها في ملكه وضمانه يبيعها للتاجر بيعًا آجلاً، وقد يتفق المصرف مع التاجر على الاشتراك في مضاربة شرعية، فيدفع المصرف التكاليف كلها، ويتولى التاجر البيع باعتباره عامل المضاربة، ويقسم الربح بنسبة شائعة متفق عليها، وهكذا.

وقد يقال: إن البنك الربوي الذي أقرض التاجر مائة ألف، أخذ منه بعد سنة مائة وعشرين ألفًا، والمصرف الإسلامي الذي اشترى السلعة بمائة، باعها للتاجر بيعًا آجلاً بمائة وعشرين، فالنتيجة واحدة.

قلت: هذا أشبه بكلام أهل الجاهلية: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ» (البقرة:٢٧٥)، والرد هنا هو الرد الإلهي: «وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ» (البقرة:٢٧٥)، والمسلم لا يناقش هذه القضية حتى ولو لم يعرف الفرق؛ لأنه يسلم وجهه لله تعالى، ومع هذا أذكر الفرق في التطبيق العملي، وأذكر الأمثلة من المصرف الذي أعرف كل أعماله وهو: مصرف قطر الإسلامي، ومن هذه الأمثلة: حُجز على بضاعة - استوردها من أوربا - في ميناء بورسعيد، فخسر عدة آلاف، ووصلت البضاعة، وبعد أن باعها وتسلمها المشتري ظهر أن معظمها تالف، فتحمل المصرف مقدار التالف، وهكذا، ففي عقد البيع النص على أن يتحمل المصرف العيوب الظاهرة والخفية.

أما البنك الربوي فله القرض والزيادة الربوية، ولا شأن له بالبضاعة، أفيمكن أن يكون البيع مثل الربا؛ لأن كلاً منهما أراد الاستثمار؟!

وأضرب مثلاً آخر لزيادة التوضيح: رجل عنده قطعة أرض ويريد أن يبني عليها عمارة لتأجيرها، وليس معه تكاليف البناء، فماذا يفعل؟ إن ذهب إلى البنك الربوي أقرضه قرضًا ربويًا ولا شأن له بالبناء، ولا يبحث الجدوى الاقتصادية للمشروع إلا إذا كان ضمن الضمانات كرهنه مثلاً.

أما إذا لجأ إلى المصرف الإسلامي، فإنه يقوم بدارسة المشروع، فإن اطمأن أمكن أن يتفق مع الرجل على عقد استصناع، أو يبيع له بيعًا آجلاً بمتطلبات البناء، أو تقدر قيمة الأرض ويتحمل المصرف تكاليف البناء، ويكونان شريكين بنسبة ما تحمل كل منهما، وغالبًا ما تكون هذه الشركة منتهية بالتمليك، حيث يشتري الشريك جزءًا من نصيب المصرف كل عام، وبذلك يزيد نصيبه من الإيجار، وكلما زاد كلما استطاع أن يشتري نصيب المصرف كله، ولا يجيز المصرف أن يكون المبنى لبنك يأذن بحرب من الله ورسوله، ولا لملهى، ولا لفندق يبيح الخمور ويشيع الفجور، أي لا بد أن يكون الانتفاع غير محرم.

وأثناء هذه الكتابة عرض عليَّ مصرف قطر الإسلامي شراء باخرة بعشرين مليون دولار، ووجد المصرف أنه إن اشتراها فباستطاعته بيعها بيعًا آجلاً بربح مناسب جدًا، ووافق مجلس الإدارة من الناحية الإدارية، ولكنه كعادته أحال الموضوع على الرقابة الشرعية لأخذ موافقتها قبل التنفيذ، فوجدت الرقابة أن الباخرة معدة للاستجمام بالمفهوم العصري، فقررت عدم شرائها، وقرار الهيئة ملزم.

أرأيت الفرق بين الاستثمار الحرام والاستثمار الحلال؟

وقد يقال: ليست كل المصارف الإسلامية تلتزم بهذه الضوابط الشرعية.

قلت: نعم، هذا صحيح، ومسئولية كل مسلم يعلم شيئًا من المخالفات الشرعية أن ينبّه إليها، ويبذل ما استطاع لتصحيحها.

وأذكر على سبيل المثال أنني وجدت مخالفات في بعض عقود عدد من المصارف الإسلامية، فنبهت المسئولين عنها فمن المصارف من قام بالتعديل، ومنها من أرسل إليَّ كل عقوده لمراجعتها، ثم أرسلها بعد التعديل، وأحد هذه المصارف لم يقم بالتصحيح فبينت خطأه لمن سألني، وأعلنت في المراكز الإسلامية في لندن وأدنبرة وجلاسجو، وقلت للمسلمين هنا: إن وجود مصرف إسلامي كسب للمسلمين، فلا أطالبكم بمقاطعته، ولكن أريدكم أن تسعوا جاهدين لتصحيح خطئه.

وبحمد الله تعالى عقدت ندوة للنظر في أعمال هذا المصرف، وتم التصحيح، وجلست بعد هذا مع بعض المسئولين هناك لإعادة صياغة العقود، ووضع الضوابط الشرعية في خطوات تنفيذية وإجراءات عملية يلتزم بها من يقوم بالتنفيذ وعندئذ ذكرت كل هذه الخطوات المباركة، لا في اللقاءات والمراكز الإسلامية فقط، بل في الإذاعة العربية من لندن أيضًا، ومن ظنوا أولاً أنني أشهّر بهم، عرفوا أخيرًا أنني ما أردت إلا الإصلاح ما استطعت.

إذن الفرق بين المصارف الإسلامية والبنوك الربوية كالفرق بين البيع والربا، وأعمال المصارف الإسلامية بُحثت في عدد من المؤتمرات الإسلامية، وكثير منها عرض على مجمع الفقه الإسلامي بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وبعضها على مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، فهذه المصارف في غنى عن أن تصدر فتوى فردية بحل معاملاتها، فالمجامع والمؤتمرات تكفيها، وليست في حاجة إلى رأي فردي.

البنوك الربوية

بعد هذا التوضيح المهم للفصل بين معاملات البنوك الربوية وبين معاملات المصارف الإسلامية نأتي إلى ما ذكره الكاتب من أعمال البنوك وسنترك ما ذكره عن المصارف الإسلامية، وهو قليل جدًا.

بدأ بقوله: «أعمال البنوك يمكن تقسيمها - بصفة مجملة - على قسمين أساسيين هما: الخدمات والاستثمار».

وذكر الخدمات، ولا نريد أن نقف عندها مع أن ما ذكره لا يفي بالغرض، والكلام كثير، ولها ضوابطها الشرعية التي لم تعبأ بها البنوك الربوية، ولكن يكفي هنا أن ننظر إلى ما هو أشد خطرًا.

والله ولي التوفيق.

مسابقة

فضيلة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين (رحمه الله)

يسر جماعة أنصار السنة المحمدية - فرع بلبيس - أن يعلن عن الحلقة التاسعة من مسابقة الشيخ محمد صفوت نور الدين - رحمه الله - في القرآن والسنة والعقيدة.

مستويات المسابقة

١- حفظ ثمانية عشر جزءًا من أول القرآن إلى الآية ٢٠ من سورة الفرقان.

٢- تفسير ربعين من أول سورة «الحج» إلى قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) [آية: ٣٧] من كتب (القرطبي، وابن كثير، والسعدي).

٣- حفظ مائة حديث من التجريد الصريح من (٨٠١ - ٩٠٠) مع شرح أول عشرين حديثًا منها من فتح الباري لابن حجر.

٤- حفظ خمسين سؤالاً من «٢٠٠ سؤال في العقيدة» للشيخ حافظ الحكمي من (٥١- ١٠٠).

٥- الاستماع إلى شريط «الإسلام منهج حياة» للشيخ صفوت نور الدين.

المستوى الثاني

١- حفظ تسعة أجزاء من أول سورة الأحزاب إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.

٢- تفسير ربع من أول سورة فاطر إلى آخر الآية (٢٤) منها من كتب (القرطبي، وابن كثير، والسعدي).

٣- حفظ خمسين حديثًا من مختصر صحيح مسلم للمنذري من (٤٠١- ٤٥٠) مع شرح أول عشرة منها من شرح مسلم للنووي.

٤- حفظ ٢٥ سؤالاً من كتاب «٢٠٠ سؤال في العقيدة» للشيخ حافظ الحكمي من (١٢٦- ١٥٠).

٥- الاستماع إلى شريط «التربية والحرية» للشيخ صفوت نور الدين.

المستوى الثالث

١- حفظ أربعة عشر جزءًا من أول سورة الأنبياء إلى آخر القرآن الكريم، مع التجويد.

٢- حفظ خمسين حديثًا من رياض الصالحين من (٢٥٠- ٣٠٠).

٣- حفظ العقيدة الحائية لابن أبي داود في العقيدة.

مواعد المسابقة

يكون امتحان جميع المستويات يوم الخميس ١٥ من ذي القعدة ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١١/١٠/١٣م، ويبدأ الامتحان من الساعة الثامنة صباحًا بمجمع التوحيد ببلبيس.

الشروط

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستوى الأول عن ٤٠ عامًا، والثاني عن ٣٠ عامًا، والثالث عن ٢٠ عامًا.

٢- يدفع المتسابق في المستوى الأول ٢٠ جنيهًا، والثاني ١٥ جنيهًا، والثالث ١٠ جنيهات، كمصاريف إدارية للمسابقة، ولا تدخل في الجوائز.

يتم الامتحان في جميع المواد تحريريًا للمستوى الأول والثاني ما عدا القرآن الكريم، وأما المستوى الثالث فيكون شفويًا في جميع المواد.

٤- يتم التسجيل ودفع الاشتراكات بالمركز العام - الدور السابع - مجلة التوحيد، أو بمجمع التوحيد ببليس، على أن يكون آخر موعد للتسجيل ودفع الاشتراكات يوم الخميس ١٨ رمضان ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١١/٨/٨م، ولن تقبل أي أسماء بعد هذا الموعد، وسيتم تسليم نسخة من مقررات المسابقة لكل من يسجل على حسب مستواه.

٥- يتم إعلان النتيجة وتوزيع الجوائز في حفل كبير يقام يوم الجمعة ٣٠ من ذي القعدة ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١١/١٠/٢٨م، بعد صلاة العصر بمسجد التوحيد ببليس.

٦- جوائز المسابقة قيمة، وجائزة الفائز الأول في المستوى الأول عُمرة إلى بيت الله الحرام.

والله الموفق.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين: القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.